

وحي الأربعين

عباس محمود العقاد



وحي الأربعين

تأليف

عباس محمود العقاد



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إن مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: إيهاب سالم

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٦٧٦ ٩

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٣.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧	مقدمة
١١	تأملات في الحياة
٢٥	خواطر في شئون الناس
٣٣	قصص وأماثل
٤٥	وصف وتصوير
٥١	غزل ومناجاة
٦٩	قوميات واجتماعيات
٧٥	فكاهة
٨١	متفرقات

مقدمة

الشعر العصري

تناول بعضهم ديواناً من الشعر، فقال: هذا شعر عصري! هذا ديوان خلا من باب المدح ولباب الهجاء، فهو شعر جديد وليس بشعر قديم.

ذلك مثل من أمثلة التقليد في إنكار التقليد، فالشعر لا يكون عصرياً مبتكراً لأنه خلا من المدح ولا يكون قديماً محكياً لأنه يشمل عليه، وإنما يخرج «المدح» من الشعر لأنه كلام يضطر الناظم إليه اضطراراً ولا يعبر فيه عن عقيدة صادقة أو عاطفة صحيحة، ولولا الحاجة إلى نوال الممدوح لما نظمه ولا أجاله في خاطره، فمن هنا كان المدح كلاماً لا شعر فيه ولا دلالة على شعور، أما المادح الذي يقول ما يعتقد أو يحس أو يتمثل أو يتخيل فلا فرق بينه وبين شاعر الوصف والغزل والحماسة من حيث القدرة الشاعرة، ولا سيما إذا هو أثنى بما يوجب الثناء في رأيه وضميره.

ولنضرب لذلك مثلاً من التصوير بالريشة، وهو كالشعر، أحد الفنون الجميلة التي يقع فيها الابتكار والتقليد، فلا نعرف ناقداً يزعم أن المصور الذي يرسم رجلاً من أجل ثمن مقدور لا يُعدُّ من المصورين «العصريين»؛ إذ كل ما يُطلب منه هنا أن يجيد نقل الشَّبه والدلالة على الملامح والأطوار النفسية، فإن أجاد في عمله هذا فهو مصور كأحسن المصورين، وإن لم يُجد فليس بمصور وإن كان يرسم الأشخاص متبرعاً غير مأجور، أو كان يشغل نفسه بمنابر الطبيعة وما شابهها من الموضوعات التي تقابل الوصف والغزل في القصائد. وكذلك المدح في دلالتة، على الشاعرية أو في انتظامه بين أبواب الشعر الصحيحة، فإنما يُعاب بيع الثناء من وجهة الخلق والعرف لا من وجهة الفن والتعبير،

أما الذين «يقلدون» في إنكار القديم فقد اختلط عليهم الأمر؛ فحسبوا المدح منفياً من عالم الشعر لذاته لا لما قدمناه.

وقرأ بعضهم قصيدة في وصف الصحراء والإبل، فأنكر أن تكون من المذهب الجديد وعدّها باباً من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون!

ذلك مثل آخر من أمثلة التقليد في إنكار التقليد؛ لأن وصف الصحراء والإبل إنما يُحسب تقليداً لا ابتكار فيه إذا نظمته الناظم مجارة للأقدمين واقتياساً على الدواوين، أما الرجل الذي يعيش في الصحراء أو على مقربة منها، ويركب الإبل وتجيئ نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم في هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جرياً على رأي الآخرين.

إن هذا هو التقليد بعينه في التصور واختيار الموضوعات، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأي الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل.

فهناك إذن «مقلدون» في كراهة التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون، وربما كان هؤلاء أضرباً بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم.

إن من أراد أن يحصر الشعر في تعريف محدود لکمن يريد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود، فالشاعر لا ينبغي أن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوي فيه جميع المطالب، وهو «التعبير الجميل عن الشعور الصادق»، وكل ما دخل في هذا الباب — باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق — فهو شعر وإن كان مديحاً أو هجاءً أو وصفاً للإبل والأطلال، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث.

كذلك يبلغ من ضيق الوعي وركود النفس ببعض النقاد أن يحصروا كل باب من أبواب الشعر في نمط لا يعدوه ولا هم يتخيلون غيره، فيقولون مثلاً: إن الغزل لن يكون إلا هكذا وإلا فليس هو بغزل، وإن الوصف لا بد أن يجري هذا المجرى وإلا فليس هو بوصف، ويحسبون أن النفوس لا تحس إلا على وتيرة واحدة ولا تعبر إلا على أسلوب واحد، فإذا سمعوا غزلاً فينبغي عندهم أن يكون على مثال الأغاني التي يسمعونها العامة في المراقص والأندية، أو على مثال يشبهه وينحو نحوه! وقس على هذا مذهبهم في سائر الأبواب: من أحب البحري فليكن الوصف عنده بحرئياً، ولا وصف على الإطلاق! ومن ألف حكمة المتنبّي فلينظم الناس له أبياتاً على طرازها أو لا ينظموا على أي طراز! ومن عرف

أن «الاجتماعيات» مجال محمود في بعض الدواوين فحرام على الدواوين كلها أن تتسع لغير الاجتماعيات! ومن ظن أن الملاحم الكبيرة أثرت على كبار الشعراء، فالشاعر الذي لا ملحمة له ليس بشاعر كبير!

لقد سميت إحدى قصائد هذا الديوان «بالغزل الفلسفي» تحدياً لهذا الضيق السقيم والحجر العقيم، فقد أضحكني بعضهم حين سألني متباصراً: وهل الغزل الفلسفي مما يصلح لاستهواء الحبيب؟ فقلت له: ومن الذي زعم أننا لا نتغزل إلا لاستهواء الأحباء؟ إنك حين تناجي القمر لا تعني أن تستهويه أو تخاطبه بما هو أدنى إلى إدراكه، وإنك حين تحكي شعورك بالرياض والأزهار لا تفقه عنك الرياض والأزهار حرفاً مما تحكيه، ولكنك تناجي وتحكي وتتغزل لأنك تعبر عما في نفسك قبل كل شيء، فالغزل تعبير عما تشعر به حين ترى الوجه الجميل والخلق القويم، وإذا كانت بعض القرائح تستحضر جمال الحياة بأسرها وما تنطوي عليه من الأسرار حين تنظر إلى الوجوه الجميلة، فلماذا يحرم عليها أن تمثل هذا الشعور؟ وإذا كانت بعض الطبائع تقرر بين الجمال وما تستحقه الدنيا من التفاؤل والتشاؤم وما يغمرها من الخير أو الشر، فلماذا يُحال بينها وبين التعبير؟ لأن الجمال لا يقع في معظم النفوس إلا موقع الغناء في المراقص يحتم على الشعراء أن يغرقوا في المراقص طوال الحياة؟

إن ضيق نطاق الحياة هو الذي يلقي في روع الأغمار هذه الأوهام عن الشعر وأبوابه ومراميه، بل ضيق نطاق الحياة هو الذي يلقي في روعهم أن الشعر جانب والجد جانب آخر وأن هذين الجانبين لا يلتقيان، فبين يدي كلمة للمغامر الإنجليزي لورنس يقول فيها: «إن رجال العمل عندنا ينطوون على جانب من الشاعرية بقسطيها من صلاح وصلاح». وبين يدي كلمة مثلها للحاكم الإيطالي «موسليني» يقول فيها للمؤرخ أميل لدفع: «إن الرجل السياسي ينبغي له أولاً وآخرًا أن يكون صاحب خيال، فإن لم يكنه جف ولم يبلغ قط شيئاً يُكتب له الدوام، ولست أقول هذا عن رجل السياسة وحده لأنه ما من إنسان كائنًا ما كان يصل إلى شيء يُذكر بغير الشاعرية والخيال». وقد علمنا كيف أن «هريو» الوزير الفرنسي كان يشغل بوضع كتابه عن هوغو بين شواغله الجسام التي قلما يضطلع بمثلها وزير، وأمثال هؤلاء كثيرون حيثما يتسع أفق العمل والشعور والإدراك.

فالنظر إلى الدنيا لن يتسع ولن يصح ولن يكمل إلا بخيال كبير يستوعب ما يراه ويقيس ما غاب على ما حضر، وما يمكن على ما أمكن، وما يتمخض عنه المستقبل على ما درج في ألفاف الزمان، وتلك ملكة لا غنى عنها لعامل ولا عالم ولا شاعر ولا قارئ ولا

متعلم، وما دام أناس منا يجهلون مدى اتساع الحياة فلا عجب أن يجهلوا مدى اتساع الشعر، ولا بدع أن يهبط في مراتب الوجود إلى أفق دون أفق المشرفين على رحبه الشاسع الفسيح.

لقد رأينا دواوين لبعض الشعراء يستغرق ما فيها فضاء محدود يُقاس بعشرات الأشبار، فأين بقية آفاق الوجود؟ أين غرائب الإحساس التي تختلف إلى غير نهاية في كل طور من أطوار النفوس؟! إنك لن تستطيع أن تفرضها فرضاً إذا أنت قنعت من الدنيا بما تمثله لنا أشعار الناظمين المحدودين، فلنفهم شأن الخيال في توسيع الدنيا والسيطرة عليها نفهم شأن الشعر الصحيح، ولنفهم شأن الشعر الصحيح نحطم تلك السدود التي يحبسنا فيها أصحاب التعريفات من الجامدين أو المقلدين في كراهة التقليد، ولنذكر أبداً أن «التعبير الجميل عن الشعور الصادق» عالم لا ينحصر في قالب ولا يتقيد بمثال.

عباس محمود العقاد

تأملات في الحياة

الخلاصة الأولى والأخيرة

له جمالاً وفتنة وضياءً
كره الأرض حوله والسماء
جانب ترتضيه إلا أساء

صح جسمًا فشافت الأرض عيني
صح نفسًا فشاهت الناس حتى
عجبًا للحياة ما سر فيها

الهداية

ضلت سواء السبيل
هديًا بغير دليل؟

كم في السماء نجوم
وأنت في الأرض تبغي

سحر الدنيا

سوف يبقى، ويذهب الكهانُ
ت وفيها الشموس والأغصانُ؟
ت وفيها الثغور والأجفانُ؟
ت وفيها الألحان والألوانُ؟
ر، وفي كل حقبة ترجمانُ
م عليها الإنشاد والتبيانُ

سحر دنياك يا أخَيَّ قديم
أفيمضي بسحرها كاهن ما
أفيمضي بسحرها كاهن ما
أفيمضي بسحرها كاهن ما
كاهن الأولين أول مسحو
سحر دنياك دائم حيثما دا

سحر دنياك دائم حيثما دا مت عليها الحياة والإنسانُ

مسودات الحياة

تأمل ترى الأحياء عَجْمًا كأنها	«مسودة» للخلق لما تُنْقَحِ
ويا رب سر في كلام «مسود»	يعود فيخفى في الكلام المصحح
أراها كإخوان تفاوت حظهم	وميراثهم من سابقين ورُزَّحِ
فمن حائز نُعمى أبيه وأمه	إلى خاسر رفديهما أو مطرَحِ
ومن يلقيهم يلق الحياة كأنها	حبت طفلة من مهدها المترجِحِ

جلال الموت

أرى في جلال الموت إن كان صادقًا	جلالة حق لا جلالة باطلٍ
فلا تجعلنَّ الموت حجة كاذب	لمدحة مذموم ورفعة سافلٍ

المعروف والمنكر

كل ما تصنع الحياة يُرَجَّى	من بنيتها قبوله واغتفاره
فإذا أنكروا قبيحًا ففي القبر	ح من الموت لونه أو شعاره
ذاك لب اللباب في كل رأي	شطُّ بالفكر أو تدانى مزاره

رأي واحد في وضعين مختلفين

زعموا الإنسان قردًا	قد ترقى وَتَحَلَّى
وأناس يزعمون الـ	قرد إنسانًا تدلَّى
هو رأي واحد نقـ	لبيه علواً وسفلا!



فلسفة حياة

مسائل الفلسفة الكبرى هي:

- (١) مسألة الإله.
- (٢) مسألة الحياة بعد الموت.
- (٣) مسألة السعادة في الدنيا.
- (٤) مسألة الخير والشر والحلال والحرام.

والقصيدة التالية تنتهي بالقارئ في كل مسألة من هذه المسائل إلى رأي نوجزه هنا ولا نعرض لأسبابه وبراهينه؛ لأنها مما يضيق عنه المقام.

فأما في مسألة الإله، فخلاصة القول أن الإله الموجود في كل مكان كفيل أن يصل إليك إذا أنت لم تصل إليه، وأن يعرف حقيقتك إذا عجزت أنت عن عرفان حقيقته، وفي هذا عزاء لمن رام العزاء.

وأما في مسألة الحياة بعد الموت، فخلاصة القول أن خيال الإنسان لن يحيط وصف تلك الحياة، أو لن يصل في شأنها إلى وصف يستقر عليه، فهو لا يرضى أن تكون الحياة الأخرى كهذه الحياة الدنيا؛ لأنه يطمح أبدًا إلى كمال بعد نقص وغبطة بعد ألم، وهو لا يرضى أن تكون الحياة الأخرى مبدلة مستحيلة؛ لأنه متى تغير شعوره وتبدلت مداركه ومقاييس نظره أصبح مخلوقًا آخر، وأصبح النعيم الذي يرجوه كأنما هو نعيم مكتوب لإنسان سواه ... فهو يحب أن يغير حياته ولا يحب أن يغيرها في وقت واحد! ... والخروج من هذه الحيرة لن يكون إلا على حالة فوق ما يعقل وفوق ما يتخيل.

وأما مسألة السعادة، فالرأي في القصيدة أن ترك الدنيا كما يتركها عباد الهند خطأ، وأن التهالك عليها كما يتهالك عباد الحضارة خطأ كذلك، وأيًا كان الحرمان الذي يُمنى به الإنسان فيشقيه، ففي الدنيا ولا ريب نعم جزية لم يُحرَمها قط إنسان يحبها ويشتاقتها، وتلك هي محاسن الطبيعة والإعجاب بالجمال حيث كان.

وأما مسألة الخير والشر والحلال والحرام، فالرأي في القصيدة أنه لا حرام في الجمال ولا حلال في القبح، فالفعل القبيح هو الفعل الحرام، ومن تجنب أن يشوه جميلًا أو ينقص كاملاً فهو في حل من أن يصنع ما يشاء:

هَاتِ لِي الْحُسْنَ الَّذِي لَيْسَ يَضِيعُ	الغرام الملك، والملك الضياعُ
أَوْ قَصِيدًا رَاقٍ، أَوْ زَهْرَ رَبِيعُ	ليلة قمرء، أو سحر سماعُ
قَلْتُ: حَيْرًا! بِالَّذِي نَشْرِي نَبِيعُ	قال قوم زينة الدنيا خداعُ

* * *

أَنَا أَنْعَاهَا وَلَكِنْ لَا أَصُومُ!	زاهد الهند نعى الدنيا وصامُ
أَنَا أُرْعَاهَا، وَلَكِنْ لَا أَهِيْمُ	طامع الغرب رعى الدنيا وهامُ
وَلَيْلُمُ مِنْ كُلِّ حَزْبٍ مِنْ يَلُومُ	بين هذين لنا حدُّ قِوَامُ

* * *

تأملات في الحياة

أيها السائل: ما بعد الممات؟
ما وراء القبر في قول الثقاة
يَمُّ الصحراء وانظر قفرها
حالة محمد يومًا سرها
لست بالراضي حياة كالحياة
لا ولا ترضى حياة غيرها

* * *

يعبد الأقوام ما يخشونه
ليس ينسى الله من ينسونه
وأنا أعبد ما لست أخاف
فعلام البحث فيه والخلاف؟!
إن وصلتُم أو وقفتُم دونهُ
لم يقف دون مقام أو مطاف

* * *

شرعك الحسن فما لا يحسن
ليس في الحق أثام بيّن
فهو لا يحلو، وإن حلّ الحرام
غير مسخّ الحُسن أو نقص التمام
ما عدا هذين مما يمكن
فاستبحه، وعلى الدنيا السلام

الحظان

قسّم حياتك بين حُسن بارع
ما في سوى الحظّين من أمنيّة
يُذكي الحياة، وحكمة تُنمّيها
للمرء ينشدها ويستبقيها

إنذار الغضب إلى الحق المحتجب

يا حق لا تبرح خباءك
فيم الإباء؟ ولم نكن
فالزم مكانك في الثرى
ما الروضة الغناء ذا
والناس لا يجفوننا
والحسن عند المبطلين
ما فاز من يرجو رجا
لَكَ في الحياة ولا نساءك
أتعبتنا سعيًا وراءك
يا حق إلا أصدقاءك
إن شئت، أو فالزم سماءك
بله إذا حُرمت ضيائك
يومًا، إذا علموا جفاءك
ن، وعند من يهوى عداك
لَكَ في الحياة ولا نساءك

وحي الأربعين

أنا إن سلوتك لم أكد اشتاق ما يغني غناءك
يا حقُّ هذا حدُّنا فاختر ظهورك أو خفاءك
إن جئتنا طوعًا فجئ أو لا فلا تبرح خباءك!

رعونة الحياة

فيم اقتحامُ جنين واهن عطلٍ أرضاً أبوه بها حيرانٌ مهمومٌ
هي الرعونةُ في طبعِ الحياةِ ثوتٌ وإنما حكمةُ الأقوامِ تعليمٌ

حكمة جهل الأطفال!

تجمّع في إهاب الطف ل كلِّ غرارة الدنيا
ليطرق بابها طوعًا ويدرج فوقها حيًا
أيتركُ بطنَ والدٍ لو أنّ لمثله رأيا
لأمر ما دخلناها ولا عزمًا ولا وعيا

كلنا شجعان

ما شجاعٌ وجبانٌ؟ نحن شجعان جميعًا!
كل مولود تراه داهم الحصن المنيعًا
أولم يطرق جنينًا عسكر الكون الوسيعًا؟
جاءه فردًا ولم ير جع كما جاء سريعًا

حكمة التوائم

حكيم ذلك التوأم ومن آبائه أحزَمَ
تهيب أرضهم فردًا فجاء بصاحب مُلَزَمَ!
ولو جاء بجيش كا نَ في تدبيره أحكَمَ!

حب الدنيا، معجزة خارقة

هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية هي التي تنهانا أن نسعد بجمالها ونفرغ لمحببتها؟
أو هي دميمة والقدرة الإلهية هي التي تحببها إلينا وترغبنا فيها؟
الجواب في القصيدة التالية أنه لا قدرة — دون قدرة المعجزات والخوارق —
تستطيع أن تحبب هذه الدنيا إلى الناس، على ما بها من الآفات والأرجاس!

قالوا الدنيا الحسناء سها عنها ربُّ لا يقبلُها
بل قالوا: يحجبها عَنَّا، أو ينهاها، أو يعقلُها
ونرى الشيطانَ يزيِّنُها ونرى الشيطانَ يدلُّها
يا قوم ألا عينٌ نظرتُ هذي الشهواء تمثِّلُها؟
ما يقدر إلا رب الكو ن يحببها ويُجمِّلُها
لولا قتلنا أنفسنا أو لم نعدل من يقتلُها
أفهذي دنيا نعشقها لولا رضوان يكفلُها؟
من شكَّ فهذي قدرته فليعرفها من يجهلُها!

الحياة والتفكير

ما لي أفكّر في الحياة ولا أرى شيئاً يقرُّ بها على التفكير؟!
إنِّي مضيت بها انقطعتُ كأنني شجر على الدنيا بغير جذورِ

خذ من الحياة

الموت طَرَّاقٌ عَلَى الْـ
الموت أَخْأَذَ فَخُذُ
أَبْوَابٍ، عَافٍ^١ كَالْعَفَاةِ
مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْحَيَاةِ

أم شحيحة

لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَنٌ
يَا شَحَّ دُنْيَا لَمْ تَجِدْ
لَا تُرْضِعِ الْأَبْنَاءَ إِلَّا
وَبِالرَّبِّ مُضَاعَفًا
قَدْ زَعَمُوا مِنَ الْأَلَمِ
إِلَّا تَوَلَّاهَا النَّدَمُ
بِدَوَاةٍ وَقَلَمٍ
غُولِطٍ فِي كُلِّ رَقَمٍ!

على بحر الحياة

أَمِنْ نَظَرَةِ الْآبَادِ وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى
لَقَدْ كَانَتْ الْأَجْيَالُ عِنْدِي قَرِيبَةً
نَظَرْتُ إِلَى عَلِيَا الْحَيَاةِ أَرْوَدَهَا
فَأَلَيْتُ أَقْضِيهَا كَمَنْ رَاحَ طَافِيًا
فَإِنْ شِئْتَ قُلْ هَذَا غَرِيقٌ وَإِنْ تَشَأْ
إِلَى الْيَوْمِ بَعْدَ الْيَوْمِ وَالنَّظَرَةِ الْعُجْلَى؟
فَقَدْ عَادَتْ السَّاعَاتُ تُوسِعُنِي ثَقَلًا
فَأَلْفَيْتُهَا صَفْرًا، وَلَمْ أَحْمِدِ السُّفْلَى
عَلَى الْيَمِّ، لَمْ يَضْرِبْ يَدًا فِيهِ أَوْ رَجَلًا
فَقُلْ سَابِحْ لَمْ يُدِرْ أَقْبَلَ أَمْ وَلَّى

نقمة في نقمة

نَعْمَةُ الْإِحْسَاسِ مَا بَرَحَتْ
لَا يُحِسُّ الْفَقْدَ فَاقْدُهَا
نَعْمَةُ فِي طَيِّهَا نَقَمُ
وَنَصِيبِ الْوَاجِدِ الْأَلَمُ

^١ العافي طالب الفضل أو الرزق.

بنية قوية

تَعاقَبَ السُّوسَ والجِرادَ وما
فَلا تَخَفْ أَفَةً ولا غَيْرًا
دُنْيَاكَ هَذِي قَوِيَّةٌ صَمَدَتْ
بَادَ رَبِيعٌ ولا انطوى شَجَرٌ
يُمْنَى بها في الضمائرِ البَشَرُ
لِكُلِّ شَرٍّ جَرى به القَدَرُ

ما فوق الحياة

يا طالِبًا فوق الحِياةِ مَدَى له
ما في خيالك صورة تشاقها
ولو استويت على الخلودِ وجدَّتْها
يعلو عليها هل بلغت مداها؟
إلا وَحَوْلَكَ لو نظرت تراها
كفؤًا لعينك لا تروم سواها

سر أبي الهول

أَكْرهُونَا على هَوَاكَ وقالوا
إِنْ يَكُنْ فَيْكَ يا أبا الهَوْلِ سِرٌّ
من دعانا إلى هَوَاكَ؟ أَجِبْنِي
أَنْتَ يا عالِمَ الشَّقَاءِ حَبِيبُ
فهو هذا الهوى الخفيُّ العجيبُ
نَحْنُ أم أَنْتَ أم سَمِيعٌ مُجِيبُ؟

زَمِيلان في البيت، عَدُوَّان في الطريق

لا حينَ كانوا مؤمنين تَقَيَّدُوا
الطبع والإيمانَ إِنْ سَكَنَّا مَعًا
بُهْدَى، ولا حينَ استرابوا في الهُدَى
ركبا الطريقَ هنيهةً ففتَرَدَا

على الشاطئ

وَرَدُّوا الْبَحْرَ فَأَهْلًا بِهِمْ - يَا بَحْرُ - أَهْلًا
أَنْتَ لَا تَحْفَلُ مِنْهُمْ مَنْ وَلَّى أَوْ مَنْ تَوَلَّى

* * *

نَزَلُوا شَطَّكَ غَيْدًا وَشَبَابًا وَمَشِيْبَا
طَلَبُوا فِي الْمَاءِ بَرْدًا فَذَكَا الْمَاءُ لَهِيْبَا

* * *

وَرَدُّوا الْبَحْرَ عَطَاشًا رَشَفُوهُ غَرْفُوهُ!
لَوْ يَكُونُ الْبَحْرُ بَحْرًا مِنْ سُرُورٍ نَزْفُوهُ
الْمَسَاكِينُ يَرِيدُو نَ مَنْ الدُّنْيَا اتَّسَاعَا
اخْدَعُوْهَا، فَهِيَ لَا تُو سِعُكُمْ إِلَّا خِدَاعَا

* * *

وَإِذَا لَاحَتْ بِوَجْهِهِ يَمَلَأُ الْأَبْصَارَ رُعبَا
فَاضْحَكُوا مِنْهَا وَقُولُوا مَا أَحْيَلَى! مَا أَحْبَا!

* * *

وَإِذَا مَدَّتْ إِلَيْكُمْ بِيَدٍ فِيْهَا الْحِمَامُ
فَخُذُوا الْمَوْتَ وَقُولُوا هُوَ خُلْدٌ وَسَلَامُ!

نصف رغيف

عَجَبِي لِلْحَيَاةِ أَشْرَفُ مَا تَخُ وَيَهْ وَقَفْتُ عَلَى الْحَقِيرِ الطْفِيفِ
صَفَحَاتُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ طُرًّا وَالْمَعَانِي مِنْ تَالِدٍ وَطَرِيفِ
وَالْوَجْهُ الَّتِي تَشُوقُكَ حُسْنًا تَنْطَوِي إِنْ فَقَدْتَ نَصْفَ رَغِيفِ

لا ضيف في الخان

إيه يا دنيا! لو اسطعتِ سماعي
أكرميننا حيثما تدعيننا!
قالت الدنيا: ولم أكرمكم؟!
حبذا الخان! فلا ضيف هنا
قد نزلنا منك في غير اتساع
أو دعيننا من لقاء ووداع
كلنا في الحق مدعو وداع
إنما تجزى متاعاً بمتاع

في جانب الهرم

دعا به هاتِفٌ من جانبِ الهرم
تملّ ما شئتَ من سُخْفٍ ومن عِظَمٍ!
ما خلد الدهرُ شيئاً قط نعلمُهُ
بين الظّلامين من ليلٍ ومن قِدمٍ
هنا التّقَى السُّخْفُ في التاريخ بالعِظَمِ
إلا وفيه من الأنوارِ والظّلمِ

طفل على البحر

عدّا على البحرِ جذلاًنا فقلتُ له:
فقال في لثغةِ الطفلِ البريء وفي
يا حبذا البحرُ في عُمقٍ وفي سعةٍ
كذلك الناس في بحرِ الحياة لهم
لا تُلقِ بالاً إلى ما ينطقون به
هل قصر البحر أو أربى على الأملِ
صراحة الطّفل قولاً بيّن الخطلِ
لو كان من سُكّرٍ أو كان من عسلٍ!
سُخْفٌ من القولِ في صدقٍ من العملِ
وانظر إلى ما تولاهم من الجدَلِ^٢

^٢ إن جدل الطفل على شاطئ البحر لم يمنعه أن يتمنى فيه الأمانى لتغييره، فانظر إلى جذله ولا تنظر إلى أمانيه، وكذلك الناس على بحر الحياة حين يستمتعون بجذلهما ويكثرون من التمني لما ليس يكون والأسف على ما كان.

ذات وجوه

وُجُوهُ حَيَاتِنَا مُتَعَدِّدَاتُ وَدَعْ عَنكَ الْبَرَاقِعَ وَالطَّلَاءَ
فَإِنْ تَحَمَّدَ وَسَامَتْهَا صَبَاحًا فَقَدْ تَنَعَى دِمَامَتَهَا مَسَاءَ

قبرة شلي

للشاعر الإنجليزي «شلي» قصيدة ساحرة يناجي بها القبرة الشادية، وللشاعر الإنجليزي «توماس هاردي» قصيدة حزينة يود فيها أن يستنقذ من ركام الأرض أشلاء تلك القبرة الهزيلة التي هاجت خيال «شلي» الفياض.

وقد نظمت الأبيات التالية عقب تلاوة هذه القصيدة الأخيرة:

فِيمَ افْتِقَادِكَ جِسْمَ قُبْرَةٍ تَوَى فِي الْأَرْضِ بَيْنَ رَمَائِمٍ وَحَفَائِرٍ؟
الآنَّ صَوْتَ الشَّعْرِ خَلَّدَ صَوْتَهَا تَبْغِي الْخُلُودَ لَجِسْمِهَا الْمَتَطَايِرِ؟!
خُذْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ تَرَى الدُّنْيَا تُصَبُّ فِيهِ رُفَاتًا هَاجَ مُهْجَةَ شَاعِرٍ

ضلال الخلود

كَانَ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ عَشْرِينَ أَلْفًا مَنْ سِنِي الْأَرْضِ، شَاعِرٌ عَبْقَرِيٌّ
كَانَ، لَا شَكَّ فِيهِ عِنْدِي وَلَا مِثْ مَنْ، وَإِنْ شَكَّ جَا حَادٍ وَغَيْبِيٍّ
نَظَّمَ الشَّعْرَ فِي الْحَسَانِ وَحَيَّيْ قَبْلَةَ الشَّمْسِ وَهُوَ دَاعٍ شَجِيٍّ
لَيْتَ لِي مِنْ قَصِيدَةٍ بَيْتَ شَعْرٍ فِي ثَنَائِهَا الْبِلَادَ يَرْوِيهِ حَيٍّ
لَيْتَ لِي مِنْ قَصِيدَةٍ فَرْدَ بَيْتٍ صَحَّ أَمْ لَمْ يَصْحَ مِنَ الرُّوْيِ
أَشْتَرِي بَيْتَهُ بِدِيَوَانِ شَعْبِيٍّ مَنْ فَأَيْنَ الْمَسَاوِمُ الصَّيْرِفِيِّ
ضَلَّةً لِلْخُلُودِ نَأْسَى عَلَيْهِ، أَخْلَدَ الْخَالِدِينَ فِيهَا دَعِيًّا!

النور

إذا كان النور مما يُحَسُّ بالعَيْن فليس يلزم من ذلك أن العين هي الوسيلة الفريدة بيننا وبين النور؛ إذ نحن نحسه بأرواحنا وبكل ملكة روحانية فينا، فنشعر أنه والحياة من معدن واحد في عنصرها المحسوس وعنصرها المجرد على السواء ... وإلى أين ينتهي بنا تحليل النور على أيدي علماء الطبيعة فضلاً عن الفلاسفة والمتصوفة؟ ينتهي بنا إلى أنه «معنى» يشبه المعاني المجردة في الكنه والقياس، ولو أمكن تحليل الفكر على هذا النمط لالتقى بعنصر النور التقاء القريب بالقريب، وهذا شعور شعرنا به من قديم في الدواوين الأولى قبل أن يصل العلماء إلى تحليل النور على النمط الحديث، وقد عدنا إليه في هذه الأبيات:

النُّورُ سِرُّ النِّجَاةِ	النُّورُ سِرُّ الْحَيَاةِ
النور وحي الصلاة	النور وَحْيُ النُّهْيِ
النور شوقُ الفتاة	النور شوقُ الفتى
لمَحَ العُيُونِ الخَوَاةِ	المَحَّةُ بِالرُّوحِ لَا
معناه إِلَّا أداة	ما تبصر العين من
لا ما افتراه الهُدَاةِ	هذا سبيل الهُدَى

الشمس

وإلا فما بالُ النفوسِ بها تسمُو؟!	أرى الشمسَ روحانيةً في جمالِها
سعادةُ رُوحٍ ليس يعرفها الجِسْمُ	إذا فاض منها النورُ هَزَّتْ قلوبنا
كما قد يعاف اللحم والسمع والشمُّ	ولو أنها من لذة الحس عفتها
بقلبي من شمسِ النهارِ هوَى جَمُّ	كرهْتُ من الدهرِ الكثيرَ ولم يزل
غريب عرا، لم يُدِرْ وَصْفُ له واسمُ	تُرى كلَّ يومٍ وهي عندي كأنَّها
وتُشْرِقُ فيها، كيف يطرقُها الغمُّ!	عجبتُ لأرضٍ تخطر الشمسُ فوقها

إلى غاندي حين أعلن الصيام

أتيت إلى الدنيا العريضة عارياً	وتقضي بها جوعاً، وما عزَّ مأْكُلُ!
تركت لهم حتى الطعام فقل لنا	على أي شيء بعد موتك تقبلُ؟!
إذا البؤس والحرمان كانا شفاعَةً	لعالمك الأعلى، فما هو أفضلُ
إذا كان ما ندعوه بؤسى غنيمةً	لمن يطلب النعمة فبئس المعولُ

الوجه الفيلسوف

أرى لك أنتَ فلسفةً صُراحاً	بلمح العين أقرأها جميعاً
أدُم العيش في ألفي كتابٍ	وتعرض لي فأمدحه سريعاً
إذا ما الفيلسوف أطال سخطي	على لؤم الحياة فكن شفيحاً
غنيت عن الأدلة والأحاجي	ومن حاجاك ^٣ لم يكُ مستطيعاً

^٣ حاجاه: غالبه في الحجى أي العقل، أو ألقى عليه الأحاجي والألغاز.

خواطر في شئون الناس

القدر يشكو

صغيرٌ يطلب الكبرا	وشيوخٌ ودَّ لو صغرا
وخالٍ يشتهي عملاً	وذو عملٍ به ضجرا
وربُّ المالِ في تعبٍ،	وفي تعبٍ من افتقرا
ويشقى المرءُ منهزماً	ولا يرتاح منتصرا
ولا يرضى بلا عقب	فإن يعقب، فلا وزرا ^١
ويبغي المجد في لهف	فإن يظفر به فترا
ويخمد إن سلا، فإذا	توله قلبه زفرا
فهل حاروا مع الأقدار	ر أو هم حيروا القدرا!
شكاة ما لهم حكم	سوى الخصمين، إن حضرا

الحمد المعكوس

يا ربَّ حمْدٍ لم ينله الذي	قد ناله إلا لهجوي أنا
وربَّ هجوٍ طافَ بي لم يَكُنْ	يطوفُ بي لو لم أكنْ مُحسِنا

^١ الوزر: الملجأ والمعتصم.

عدل الموازين

إننا نريد إذا ما الظلمُ حاق بنا
عدلُ الموازين ظلُّمَ حين تنصبُّها
ما فرَّقَتْ كِفَّةَ الميزانِ أو عدَلَتْ
عدلَ الأناسيِّ لا عدلَ الموازينِ
على المساواةِ بين الحرِّ والدُّونِ
بين الحليِّ وأحجارِ الطواحينِ

الخبز والفقير

أحسب الخُبْزَ لو دَرَى لتأبَّى
إنما تُسَلِّسُ الطُّلابَ جميعًا
في يدِ الجائعِ الفقيرِ إليه
لامرئٍ هانتِ الطُّلابُ عليه

عادة مريحون

نَعَمِ العُدَّةُ تَكْفَلُوا بمدائحي
وتكفَّلُوا بالتَّأَرِ منهم كُلِّمَا
حملوا المتاعِبَ واسترحَتْ فلم يزل
لما استحقُّوا الذمَّ والتعذيرا
ملأوا صدورَهُمْ لظى وسعيرا
سعي العداة موفِّقا مشكورا

عم صباحًا، عم مساء

عَمِ صباحًا عَمِ مساءً
أَقْبَلَ الصبحِ وولَّى
وأخذنا ورددنا
ولقينا أصدقاءً
فشقينا بولاءٍ
وعشقنا وتركنا
من عشقناه ومن لم
وعرفنا الحق أحياء
ذهبَ العُمْرُ هباءً!
ومضى اللَّيْلُ وجاءَ
فحكى الأخذُ العطاءَ
وفقدنا أصدقاءَ
وتملينا عدااءَ!
حبَّ من سَرَّ وساءَ
نره قط سواءَ
نأ فلم نعرف هناءَ

وجهلنا الحق أحيا	نأ فلم نجهل شقاء
وقتلنا الجسم والرُّو	ح سقامًا وشفاء
ثم نمضي حيثما نم	ضي سراعًا أو بطاء
لم نزد في الأرض مملو	ءًا ولم ننقص فضاء
عم صباحًا يا زمانِي!	يا زمانِي عم مساء!

شطور

دليل على أن الكمال محرّم	إنّا خُلِقن بينها وذُكُورُ
فما المرء في جسمٍ ورُوحٍ بكامل	ولكنّ كلّ العالمين شُطُورُ

سوء الظن

من ساء بالناس ظنًّا دون ما ألم	أحقّ عندي بسوء الظن والتُّهم
أسى ظنونك لكن مكرها أبدًا	كمن يظن ببعض الآل والحرَم

البرهان المحسوس

تعب الفلاسفة الكرام ليهدموا	حُجَجَ الشُّرور ويدعموا البرهان
وأرى الدمامة في وجوه جناتها	عصفت بفلسفة الشُّرور عيانا

الآمال

كانت الآمال تحملني	فأراني اليوم أحملها
إن أحلامًا تعللني	غير أحلامٍ أعللها

سِرُّ في طريقك

سِرُّ في طريقك بينَ اللائمين ولا
فالنَّاسَ يَرْضَوْنَ عَمَّنْ لَيْسَ يَحْفَلُهُمْ
تَحْفَلُ بَمَنْ جَدَّ فِي لَوْمٍ وَمَنْ لَعِبَا
وَيَغْضِبُونَ عَلَى مَنْ يَحْفَلُ الْغَضْبَا

اعرف ما ترميه، تعرف ما تجنيه

تعلم كيف تستغني
فمن يجهل ما يُلْقَى
إِذَا مَا شَتَّتَ أَنْ تَغْنَى
فَقَدْ يَجْهَلُ مَا يُجْنَى

إنصاف الظالم

أنصفت مظلوماً فأنصف ظالماً
من يرضَ عُدواناً عليه يضره
فِي ذَلَّةِ الْمَظْلُومِ عُذْرُ الظَّالِمِ
شَرٌّ مِنَ الْعَادِي عَلَيْهِ الْغَانِمِ

عزاء

لا اليأسُ أَوَّلَ يَأْسٍ
فإن تقضَى رجاءٌ
أَوْ حَلَّ يَأْسٌ فَأَهْلًا
شُقَّ الطَّرِيقُ قَدِيمًا
وَلَا الرَّجَاءُ بِسَرْمَدٍ
فإنه يتجددُ
إِنَّ الطَّرِيقَ مُمَهَّدٌ
فَالْعُودُ أَهْدَى وَأَحْمَدُ!

الخلاصة

ليست خلاصة كل شيء غنية
فالشَّهْدُ وَهُوَ خِلَاصَةُ الْأَزْهَارِ لَا
عنه، وإن كانت خلاصة ماهرٍ
يُغْنِي الْعَيُونَ عَنِ الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ

تكاليف العظمة

كُنْ عَظِيمًا وَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا
كُل رَاغٍ يَلْقِي عَلَيْكَ مُنَاهُ،
تُنْصِفُ الْأُمَّةَ الضَّعِيفَ وَلَا تُنْصِفُ
هَمَّةَ كَلْفَتِكَ هَمًّا جَسِيمًا
فَإِذَا خَابَ كُنْتَ أَنْتَ الْمَلُومَا
صِفْ يَوْمًا عَظِيمَهَا الْمَظْلُومَا

رب عبوسة خير من بشاشة

إِذَا مَا تَبَيَّنَتْ الْعَبُوسَةُ فِي أَمْرٍ
أَجَلَ سَلُهُ قَبْلَ اللُّومِ فِيمَ انْقِبَاضِهِ
لَعَلَّ طُلَّابَ الْخَيْرِ سَرُّ انْقِبَاضِهِ
فَمَا تَحْمَدُ الْعَيْنَانِ كُلَّ بَشَاشَةٍ
قَطُوبٌ كَرِيمٌ خَابَ فِي النَّاسِ سَعِيهِ
فَلَا تَلَحَّهُ، وَاسْأَلْ سَوَّالَ حَكِيمٍ
وَفِيمَ رَمَى الدُّنْيَا بِطَرْفِ كَظِيمٍ
وَعَلَّةَ حَزْنٍ فِي الْفَوَادِ مَقِيمٍ
وَلَا كُلَّ وَجْهِ عَابِسٍ بِذَمِيمٍ
أَحَبُّ مِنَ الْبُشْرَى بِفَوْزٍ لَثِيمٍ

وصايا معكوسة

من عمل بها فله وزرها.
ومن لم يعمل بها فأجره على الله!
إذا قال الرجل لرسوله: «أذهب إلى السوق فهاتِ عَنَّا حَامِضًا!» فليس معنى ذلك
أنه يطلب العنب الحامض وإنما معناه أنه يأباه وينبهه إلى اجتنابه، وكذلك هذه الوصايا
إنما هي وصايا أسف وتحذير وليست بوصايا رضا وترغيب، والقصد منها أن تصف ما
يقع أحيانًا بين الناس، وتنكر أن يشيع:

الضعة والشرف

وَالِ الْمَدْنُسَ بِالْعَيُوبِ وَلَا تَكُنْ
فَذُووِ الْمَعَائِبِ لَا تَنَاحِرْ بَيْنَهُمْ
وَالِ الْمَدْنُسَ بِالْعَيُوبِ وَلَا تَكُنْ
فَذُووِ الْمَعَائِبِ لَا تَنَاحِرْ بَيْنَهُمْ
يَوْمًا وَلِيًّا لِلنَّبِيلِ الطَّاهِرِ
وَالنَّبِيلِ فِيهِ سَبِيلُ كُلِّ تَنَاحِرِ
وَالنَّبِيلِ لَيْسَ بِأَمْنٍ لِلْغَادِرِ

والنبل محصور قليل الناصر	وذوو المعائب ما لهم من حاصر
والنبل ما لهناته من سائر	وذوو المعائب يسترون خلالهم
والنبل ما لكماله من عاذر	وذوو المعائب عذرهم في نقصهم
والنبل ما لشقائه من آخر	وذوو المعائب ينعمون بحظهم
يسعى إليك مع الخئون الخافر	ولرب ربح فات من ذي ذمة
أو لا فدعه إن استطعت وخاطر	رأي السلامة إن أردت فخذ به

مصائب النخوة

سوف تُمنى بياسهم منك بعدُ	لا تكن موئلاً لآمال قوم
أمنهم من أذاك غنماً يُعدُ	وأخف ما استطعت منهم يخالوا
يستوي في قذاه حر وعبدُ	أن في طينة ابن آدم لؤماً

بمن تتق؟!

في كل حين حاضره	ثق بالرديلة تلقها
تلقاك إلا عابره	إن الفضيلة قلما
لهوى الهنات البادره	حتى الأفاضل عرضة
عطف النفوس الطاهره	ما كل يوم يُرتجى
عند التعطف قادره	ومن النوادر أن تُرى
دارت عليه الدائره	من لم يدر في دهره

من تكون؟ ومن لا تكون؟

فكن كتيemor ونيرونا ...!	كن بينهم «بوذا» فإن لم تطق
إصلاحهم دنيا ولا ديناً	أو عش معافى بينهم لا ترى
لا غرو أن سموه مجنوناً!	قد ضل من يطلب إصلاحهم

يأمنهم من فاتهم طائعا	أو ساقهم كرها مطيعينا
أو راح فيهم طالبا نفعه	لا عاليا يأبى ولا دونا
من هان أو هان الورى عنده	أو سامهم في ظلمه الهونا
أولئك الرهط الذي لم يزل	يأمن ما يخشى النبيونا
يا بؤس أرض لا نرى فوقها	إلا طغاة أو مراثينا

الخلاصة الأولى والأخيرة

هما سبيلان من يبيع السلامة لا	يأسف على الحق أو يحلم برؤياه
ومن بغى الحق في الدنيا فلا أسف	على السلامة إن خانتته دنياه
قد يهجر الأمن من ذلوا ومن وهنوا	وما تفرق قط الهول والجاه
فاختر لنفسك: إما المجد في خطر	أو الهوان، وقد تشقى ببلواه
وما اختيارك إلا ما خلقت له	إن الطبائع ما ترضاه نرضاه

عداوة الرجال وعداوة الأفكار

قصدا الرجال ورحت أقصد دونهم	إرضاء آمال لمصر كبار
فجنيت أحقاد الرجال وما جنوا	حقدا من «الآمال» والأفكار
ولعلمهم إن جاء يوم حسابهم	كسبوا من «الآمال» كل فخار
لولا الطبائع ما توصل عاقل	أبدا بغير وسائل الفجار

صراع بين ندين

بعض المجرمين يُوصَفون بقوة العقول؛ لأنهم صرعوا ضمائرهم ومضوا خفاً في طريق النجاح، ولو كانت ضمائرهم حية قوية لما استطاعوا قهرها ولا وصفهم أحد بكبر العقول، فربَّ عقل صغير غلب ضميره؛ لأن ضميره ميت لا يتحرك، ورب عقل كبير عنا لضميره لأن ضميره أكبر ... فخير لمن يصف عقلاً بالقوة أن ينظر إلى الندين، وأن يرجع في حكمه إلى أصول الصراع!

يتعجبون لعقله العاتي	صرع الضمير الميت فالتفتوا
ما بين أحياء وأموات	ليس الصراع بفن مقدرة
تعنو العقول له زرافات	ولرب عقل للضمير عنا

صور الرجاء

والذكر آمال الزمان الغابر	أمسيت أذكرها ما مضى من صبوتي
تلقاه ييأس من حنين الذاكر	قد ييأس الإنسان من غده ولا
بعض الغد الآتي كأمس الدابر	ما شئت من صور الرجاء فلذ به

شفاعة العفو

أصل غرست لها جذورًا في الثرى	إن الإساءة إن رجعت بها إلى
حيًا ويابسها المحطم أخضرا	من علل الأشياء ردّ دفينها
كالفرع جف على الثرى فتكسرا	أولى بمحو الذنب أن يُلقَى به

قصص وأماثل

أكاروس

قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تُروى على روايات كثيرة في الأساطير اليونانية القديمة، وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها؛ لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية، وهذه هي خلاصتها: ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدرة الخارقة في الصناعة وحسن الحيلة في تذليل المصاعب والخروج من المآزق، وزعموا أنه غار من ابن أخته الذي كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب في البلاد براً وبحراً، حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينو» فلقي عنده كرامة وحسن وفادة، وأمل «مينو» أن يستفيد من علمه وقدرته في تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام.

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثوراً مشهوراً في الأساطير باسم «منوطور»، فولدت منه طفلاً لا إلى الثور ولا إلى الإنسان، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه في غفلة من زوجها المخدوع، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبني لذلك الطفل سرداباً مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة، فتردد الصانع أولاً وحسب حساب الرفض والقبول، ثم قبل أن يصنع السرداب مخافة من دسياسة الزوجة واطمئناناً إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب، ولكن الملك علم به فثارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هارباً من عقابه، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة، ونصح الحكيم الصانع ولده ألا يعلو في السماء فتذيب الشمس لحام جناحه ولا يهبط على الماء فيبيللهما الرشاش الكثير، ولكن الولد نسي النصيحة وهو في نشوة الطيران

والوثوب، فعلا مصعدًا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه؛ إذ سقط هالكا على صخرة في البحر يبيكه من حولها نبات الماء، فالأسطورة مجال لاستعراض عبّر الشهرة والغيرة والشهوة والطماح:

أكاروس هذا مسبح الطير فاركب
زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه
وظن بنا عجزًا، فيا سوء رأيه!
أدر مركب الريش الذي ما استقله
وطرّ نلتمس عبر^٢ الشمال ونرتحل
تراها إذا ضاقت بلاد بسربها
وتلك المهاوي من خضارة^١ فاجنب
ونادى، فنحى جنده كل مركب
متى حيل ما بين السماء وكوكب
أنيس ولا جن ولا ذات مخلص
على سنة الطير التي لم تُهذب
على أهبة في جوّها المتقلب

* * *

ألا وادخر عزمًا يقودك شرخه
وسر قدمًا إن المطار لواحد
أكاروس! إنا هاربان من الردى
توسط فلا تهبط ولا تعلّ مصعدًا
فإنك إن تغتر بالشمس ينخذل
هنا لافح يوهي اللحم، وها هنا
أكاروس، إني باذل لك من يدي
تذكّر عظاتي واعلم اليوم أنه
ولا تتخذ ريشي وتنس نصيحتي
أقل من الصخر امرؤ ضم جسمه
ولي فيك أعمار طوال وللدنى
إلى الأوج، فاحفظه لشوط مغيب
ولكن سبيل الأوج ليس بمقرب^٣
فلا تجعل العقبي إلى شر مهرّب
ولا تكّ من يعلو إلى غير مطلب
جناحك، أو تبتلّ بالماء ترسب
لريشك وهي من رشاش مرطب
ومن خبرتي زخر الصناع المجرب
صنيع الحجي لا الكف أنفس مكسبي
يخُنك جناح الرأي يومًا فتعطّب
أمانة روح لم يصنها لمأرب
فأسند إلى عزم الصبا حزم أشيب

^١ اسم معرفة للبحر.

^٢ العبر الشاطئ.

^٣ أي إنك إذا طرت إلى الأمام أو إلى فوق فالمطار واحد، ولكن المطار إلى فوق لا يقربك إلى قصدك، وإنما يقربك إليه أن تطير إلى الأمام.

فتى صالحاً يجني الفناء على أب
فإن مات يومٌ قبل ماضيه فاعجب^٤
سبيل إلى تكراره لمعقب
وللأرض منا لهفة المتغرب
وإما فراق شاعب كل مشعب^٥

حياتك من بعدي معادي، ولن ترى
وللأمس شوقٌ أن يرى الغد طالعا
بُنَيَّ استمع قولي فما بعد نسيه
إلى الجو! هذا يا بني وداعنا
فإما لقاء بعد فوق صعيدِها

ونِعَمَ الموصِّي من حكيم مدرّب
من العجز إن قيسـت بها لم تركب
لثُقُبَس من سر الحياة المحجب
أكفًا وأعضاءًا إلى كل منكب
قدير على فعل الأعاجيب معجب
وخلسة شعبان وحيلة ثعلب
وبيت لأجيال وزين لمنصب
وقد يحمل الغيران أوزار مذنّب
ولم يرع حق الأخت في ابن محبب
وواراه، لم يندم ولم يتحوب^٦
فضاء أثينا من مقيم ومعزّب
وهذا مزجى دونها كالمترب
نكاء يريك النجم في جنح غيهب
وكانت منارًا بين شرق ومغرب
تصعد أثناء الذرى بالتصوب
على خير أهل في حماها ومرحب

وصاة لديدالوس وصى بها ابنه
صناع له كف كأن أكفنا
عليم بأسرار الفنون، وإنها
ومن يؤت تصريف الجماد يصف به
وناهيك ديدالوس من ذي حصافة
يُعيرك من يمناه صوله قشعم^٥
ويبني فمبناه عماد لأمة
ولكنه بئس الغيور على اسمه
تغيظ لما بزه فرع صنوه
فأصماه، لم يشفق عليه من الردى
وما كان إلا أن نبا بكليهما
فهذا مسجى في ثراها مترب
تشرّد واستعدى لإخفاء أمره
ووارته من عين الغريم فنونه
وما زال يغروري البلاد ويتقي
إلى أن تـلقته «كريت» وربها

^٤ الكنف: الحزن، يقال: أنت في كنف الله؛ أي: في حرزه.

^٥ القشعم: المسن من النسور، ومن كل شيء.

^٦ تحوب: أي تجنب الحوب، وهو الذنب.

وأمل «مينو» منه حصناً لملكه فحصنه «مينو» بملك مؤشِب^٧
وما ملك إلا له من صناعة معاقل يبنيها ليوم عصبصِب

* * *

هنالك كان الأمن لو يأمن امرؤ يُخاف ويُرجى للمخوف المؤرِب^٨
تحير ديدالوس ما بين منكر وشكر، وغب اثنيهما غير طيب
أيحمل شكر الملك أم كيد عرسه وأنجاهما في طيه سم عقرب
غوت غرس مينو واشتتت، ساء ما اشتتت من الناس، لا بل من بهيم مذنب
تحن إلى ثور وتهوى اقترابه وليس ولي العهد منه بمعجب!
فأولدها طفلاً له مثل ظلفه إلى شر وجه آدمي ومنكب
ويا رب أنثى تعشق الثور كلما سباها فتى بالجسم لا الروح يستبي

* * *

فمن غير ديدالوس يخفي شنارها ويرعى مهاد الطفل رعي المؤدِب!
أهابت به أمّا وأنثى حريصة ومالكة حيرى، فلم يتهيب
بنى لسليل الثور حرّاً، وليته تلمس حزراً من غوائل مغضب
غوائل «مينو» حين ثارت ظنونه وضاجع أشجان المعنّى المعذب
وأقسم لا واقٍ من الموت عنده ولا وائل من سخطه المتلهب
وأهول من هول الخضارم في الدجى ضراوة مهتوك وغيظ مخيب

* * *

فلما تنادى الجند وارتجت القرى وخيف الأذى من حاضرين وغيب
وقالوا: أمن رب الجزيرة حربيه يوقيه عرض البحر أو طول سبب
أهاب الصناع العبقري بفسنه فلباه، فاستعلى به متن أشهب^٩

^٧ متشابك ملتف.

^٨ المعقد المحكم.

^٩ الأشهب: الأمر الصعب، وقد يُطلق على الطير الجارح الأشهب.

تسريل من ريش وسريل نجله خوافق لوى بينها ألف لولب
فحلق مزهواً وفر مظفراً وأغرى لسان السخر بالمتعقب

مضى ناجياً من بأس «مينو» فهل نجا فتاه من البأس الذي فيه يختبي؟
بلى! قد نجا لولا طماح سما به إلى الشمس في ثوب من النار مذهب
تعشقها مفتونة فتقبلت هواه بوجه صادق النور خلِب
وأسكره الشوق الجديد فما ارعوى لنصح نصيح أو لزجر مؤنب
وما هي إلا وثبة بعد وثبة إلى الشمس حتى عزه كل موثب
تعشقها ناراً، فإن جاءه الأذى من النار، فليعتب فلا حين معتب

علا بدم حي وخر مضمخاً به في جناحي أرجوان مخضب
طريحاً على صخر تغشيه رغبة من العيلم^{١٠} الغضبان في غير مغضب
وراحت بنات الماء يندبن حوله، ومن ير أنقاض الصبا الغض يندب
وما من عزاء للشباب علمته سوى مدمع من أعين الحسن صيب
إذا جال في حسبانه هان عنده دموع ذراها^{١١} الحزن من طرف أشيب

عيد ميلاد في الجحيم

دخل شقي الجحيم، فحسبوه مولوداً جديداً في ذلك العالم القديم، ومضى عليه العام
فاحتفل بعيد ميلاده، وقال لأترابه وأنداده:

صفوا الموائد واملأوا الأكوابا وادعوا الصحاب، وبشروا الأحبابا

^{١٠} العيلم البحر.

^{١١} ذرا الشيء: فرقه وبعثره.

قولوا مضى عام ليوم هبوطه
وبلا المقام فراح يحمد شر ما
هذا الجحيم أحب لي من عالم
الشر ثمة كان شرًّا كاسمه
يشقى بنوه ليعمره ويحشموا
لا يعرفون الحق إن سمعوا به
أهون بصابٍ في الجحيم أذوقه
صائبًا إذا ارتوت الشفاه شربته
ولربَّ وجه يومذاك شهدته
وجه اللئيم إذا استهل ومثله
ورضا الظلوم وحيرة المظلوم في

هذا الجحيم، فقر فيه وطابا
فيه، وآدب^{١٢} باسمه إيدابا
ما كان لي إلا رجاء خابا
والخير كان كما علمت سرابا
فيه الشقاء ليرجعوه خرابا
إلا ليلقوا في الحقوق عذابا
قد كان ثمة كل شيء صابا
بالناظرين، وساء ذاك شرابا
فكأن سمًّا في العيون انسابا
وجه الكريم إذا اضمحل وذابا
بلواه يطرق كل يوم بابا

* * *

يا صاحب حيَّوا النار في ويلاتها
ما كان من حسن هناك فجهدته
أو كان من فضل هناك فحسبه
يا صاحب هاتوا من علاقمها لنا
من عاش عامًا في الجحيم فلا اشتهى

واحثوا على ذاك التراب ترابا
أن يخدع الأبصار والألبابا
أن يملأ الدنيا عليك صعابا
وادعوا الأحبة واشربوا الأنخابا
أبدًا إلى ذاك الجوار مآبا

هو وضميره

هو:

ماذا أقول؟ ظلمته وجدته حق الثناء، وإنه لعظيم

^{١٢} أقام مأدبة.

ضميره:

قل إنه خير الأنام، وإنه عالي المقام، وإنه مهضومٌ

هو:

هيهات! أخسر ذلك المال الذي تدري مصادره، وأنت عليم!

ضميره:

لك أن تبوح إذن بباطن سره
قل إن رب المال أثقل خاطري
وتلوم من هو في الخفاء ملومٌ
فكبا بحمل الصدق، وهو كظيمٌ

هو:

أفأنت خصمي يا ضمير؟ أناصح
أتريد أفضح آجري^{١٣} وأرتدي
لي بالجنون؟ أهازل؟ أسقيم؟
ثوب الصغار، فيبرح المكتوم؟

ضميره:

كيف الخلاص؟ إذن تنقص قدره
قل إنك الرجل الغيور، وإنه
لا ترتدي ثوب الصغار ولا تشي
وتروح بين الناس صاحب سمعة
وامسخ فضائله، ودعه يهيمُ
فدم،^{١٤} وإنك بالعقول رحيمٌ
بالآجرين، وغيرك المحرومُ
ينفضُّ حولك مسكها المختومُ

^{١٣} جمع آجر.

^{١٤} جاهل غبي.

هو:

أبدًا بتهوين الصعاب زعيمُ
سأظل أقعد غاضبًا وأقومُ
رجل الغيور! وحبذا التعليم!

بوركّت يا هذا الضمير فأنت لي
الآن فانهب «تستريح» فإنني
أولست بالرجل الغيور؟ أجل أنا الزُّ

كعبة الأصنام بعد الزلزال

زينة تأخذ قلب الصب تيهها
والدمى مستعبدات صائغيها
أو تماثيل تناجي عاشقيها
كاد من صلى إليها يزدريها
فتداعى، فبدا مسحًا كريها
فاحتوته ظلمات غاب فيها
هل ترى داعيه إلا سفيها؟!

كانت الكعبة والأصنام فيها
حفلت في كل ركن بالدمى^{١٥}
هي أصنام لمن يعبدها
عظمت حينًا فلما زلزلت
كان فيها صنم الحق نبيها^{١٦}
نزع الزلزال عيني رأسه
وارتمت ساقاه في جانبه

* * *

صاغي السمع، كما شئت، نزيها
وسمات تزدهي من يجتليها
ومضت كف بلا كف تليها
هل ترى داعيه إلا سفيها؟!
حيث لم أبصر له قط شبيها
واسع الصدر، يحييك وجيها
عن حنايا صدره لا قلب فيها

كانت النخوة فيها صنمًا
يخلب الطرف بحسن واضح
فارتمت أذناه في الأرض لقى
يطلب الغوث ولا غوث له
والإخاء المحض كم أبصرته
قائمًا يفتر عن مبسمه
شقه الزلزال فانجاب لنا

^{١٥} جمع دمية، وهي التمثال.

^{١٦} النبيه: من النباهة، وهي الظهور والشهرة.

خير ما في وجهه ظاهره هل ترى داعيه إلا سفيها؟

* * *

وتراءى الحب فيها فتنة ما اجتواها زائر من زائريها
ضرب الزلزال في أصنامه فهوت أشلاؤها تنعى ذويها
ما الذي أبقاها من أشلائها؟ سوأة يعرض عنها مشتيتها

* * *

وهوى تمثال مجد لامع يخطف العين بنور يعتليها
ملأ الدار علينا جوهرًا زائفًا ينطق بالزيف بديها
وقشورًا لا تساوي وزنها من تراب، لن ترى من يشتريها
هي إن قامت جمال فإذا سقطت، لم تكد العين تعيها

* * *

هكذا أقوت زوايا كعبتي وثوت خاوية من ساكنيها
غير أنني طائف من حولها لم أشأ أهجرها أو أبتنيها
لا طواف المتملي^{١٧} حسنهما أو طواف المهتدي من عابديها
بل كمن نقب في جوف الثرى يجمع الآثار في شتى سنيها
من فراغ لا من الرغبة في تلکم الآثار، أمسى يقتنيها
أو هي العادة كالطيف إذا هام بالأحداث يبكي نازليها

بين الشاعر وعروس شعره

كفى يا عروس الشعر خيبت آمالي وكذبت أحلامي، وأشمت عذالي
إذا ما وعدت اليوم أخلفت في غدٍ وهيهات لا تبقيين يومًا على حالٍ

^{١٧} تمل الحسن: نظر فيه واستمتع برؤيته.

يظل غريبًا من أعارك سمعه وإن عاش أجيالًا عفت بعد أجيالٍ

* * *

كفى يا صديق العهد هيجت بلبالي
ملاмок فيه الحق، أو فيه بعضه
إذا قلت زورًا فهو من صدق شيمتي
إذا هزلت أُمي الحياة فهل ترى
بحسبك من عذري إذا ما عذلتني
وما أنت بالسالي هواي ولا القالي
وما غاب عن ظني ولا بان عن بالي
ومن يصف الدنيا يصف خيم^{١٨} ختالٍ
من الصدق ألا يطرق الهزل أقوالي؟
أمانة تمثيلي، وروعة تمثالي!

إبليس ينتحر

الاستعباد هو الجو الذي تعيش فيه الشياطين لأنه جو الخوف والإغراء، وإبليس يخاف
أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء:

هاتوا لي الخير والهدى جرعا
حرية القوم أفسدت خدعي!
إن مُنعت لذة حفزت لها
أو حجبت شهوة أزينها
وإن طغى ظالم له خنعوا
لو دام هذا البلاء واتسعت
واستغنت الأرض والسماء معًا
ما حاجة الأرض للأبالس في
وكيف تغذوهم بلا عمل
وأيّن يأوونها إذا قشعت
أتى زمان أموت فيه أنا
أبضع نفسي حزنًا كمن بخعا
لم تبق لي في الأئيس منخدعا
فكيف حفزي من لم يكن مُنعا؟
فكيف تزيين ظاهر سطعا؟
فكيف يطغى إن عز من خنعا
حرية القوم ضاق ما اتسعا
عن الشياطين فانطوا جزعا
عهد نضا الخوف عنه والجشعا؟
وهي على السعي شأنها اجتمعا؟
عنها ظلام الدهور فانقشعا
إبليس يأسًا، وفي يدي صُنعا

^{١٨} الخيم: الطبع والعادة.

قصص وأماثل

ودعت ملك الدنيا وودعني	ملك إذا هم قلماً رجعا
هاتوا لي الخير جرعة فإذا	ضعفتُ عنه شربته جرعا
سأسبق الموت حين يتبعني	فإنه لاحق إذا تبعنا

وصف وتصوير

خليج ستانلي أو حمام البحر في الإسكندرية

يا ويح قلبك من هدف	صال المسدد أم صدف
بين الملاح المفرغا	ت من الأشعة والسدف ^١
سمر كما اسمر الجنى ^٢	بيض كما ابيض الصدف
كشف الخضم طلاءهن	ن، ولا حجاب لما كشف
قف في سبيلك لحظة	وانس الشقاء وما اقترف
حيث الخماص ولا طوى	حيث العراة ولا شظف ^٣

* * *

يا ويح قلبك من هدف	بين البضاضة والهيّف
«كوبيد» ^٤ يعرض من سلا	حيه الفخامة والرهف
تلقى الطويلة كالقصيـ	رة، والسماحة كالصلف ^٥

^١ السدف: من الأضداد، بمعنى الظلمة وبمعنى الضوء.

^٢ الفاكهة التي تُجنّى.

^٣ الخمصانة ضامرة البطن، والطوى الجوع، والشظف ضيق العيش.

^٤ رب الحب في الأساطير اليونانية.

^٥ الصلف الكبرياء.

وحي الأربعين

برق السحاب طوالها وقصارها برق خطفُ
والسهم يقصد^٦ إن جثا رامى السهام أو اشترف^٧

* * *

يا ويح قلبك من هدف بين الأناقة والترف
بل بين ألوان الربيع ع قد اختلفن، وما اختلف
ألقى لهن بقوسه قزح، وأدبر وانصرف
فلبسن من أسلابه شتى المطارف والطرف^٨
وخلعن من ألوانه تحفًا تنم على تحف
عيد الشباب فلا كلا م ولا ملام، ولا خرف

* * *

يا ويح قلبك من هدف بين الصغيرة والنصف^٩
ري لمن طلب الهوى رياءً، ولذة من رشف^{١٠}
كالزهرة الحسناء أو كالغصن في الروض العطف
أن تعلم أو تجهلا فلأنت تعلم ما التلف
ولأنت تعلم ما الجوى ولأنت تعلم ما الشغف
الحب يرمي عنهما يا ويح قلبك من هدف!

* * *

يا ويح قلبك بين نبي وطن بمصر ونبي كنف^{١١}

^٦ أقصده: طعنه فأصابه.

^٧ اشترف: وقف منتصبًا.

^٨ المطرف: الرداء، والطرفة: ما يُستملح ويُستظرف.

^٩ النصف: متوسط السن.

^{١٠} رشف الماء: مصه بشفتيه.

^{١١} الكنف: الحزن، يقال: أنت في كنف الله؛ أي: في حرزه.

ما بين شرقي جفا	أو بين غربي عطف
سل عصبه سكنت «جني»	ف» تكلف بك أم كلف؟!
تدعين حرفتك السلا	م، وما السلام بمحترف
هذي الملاحه قربت	بين الحدود، ولا جنف
دين الملاحه واحد	ترك المذاهب وائتلف
حرم بميدان الحيا	ة وملجأ لا يُعتسف
ما في جوانب بيته	إلا طبيب أو دنف

* * *

قف في عبورك غير مأ	مور، ومن يعبر وقف
فإذا ذهب مولياً	فاذهب، فكم لك من خلف
قال الجمال فلا تخف	صدق الجمال وما حلف!
هذي المحاسن موسم	أحيت مواسم من سلف
جمعت لعينك ساعة	وغداً تفرقها الغرف
ملأت خليج «ستانلي»	وطغت على أعلى الطنف ^{١٢}
بحر تتابع مده	والبحر أعى من غرف
زمر تصباك الظمى	منها وحياك الوطف ^{١٣}
وعنك من شمم هنا	لك ما عنك من الذلف ^{١٤}
ورأيت معسول اللمى	قاني الشفاه له ازدلف ^{١٥}
والشعر من شفق هفا	كالشعر من غسق رجف
والنور في بدر سرى	كالنور في رعد قصف
فتن شهدت زحوفها	كالجيش أهول ما زحف

^{١٢} الطنف: ما برز من البناء.

^{١٣} العين الظمياء: الرقيقة الجفن، والوطفاء: الغزيرة شعر الجفن.

^{١٤} الذلفاء: الصغيرة الأنف.

^{١٥} اللمى: سمرة في الشفة، وهي من الألوان المحبوبة قديماً وحديثاً، وازدلف: تقرب.

وحي الأربعين

فهمتفت «فليحي الجمال» وقد يعاقب من هتف!
هذي معارض صنعة لله تبهر من وصف
حي الجمال كما بدا أو لا فدونك والجيف!

* * *

يا ويح قلبك من هدف بين التعلل واللهف
كم ذا رأيت، وكم طمع أسرفت حتى قد عرف
ما زال يطمع من رأى ما زال يقنع من عرف

مدينة الشمس

صدقوا! فأنت مدينة الشمس وهبتك من نور ومن قدس
كم للنهار عليك مائدة من فيضه، كموائد العرس^{١٦}
تجد العيون بها كفايتها ويزيد حظ القلب والنفيس
لحسبت أرضك وهي مشرقة تفتت عن لمحات ذي حس
بعض الضياء إذا نظرت به أغناك عن سمع وعن لمس^{١٧}

شمس أسوان

شمس أسوان في الشتا ء ارقصي أو تبرجي
إنك الشمس صُورَتْ فوقنا للتفرج
لا لدفع كما ادعوا أو لتوضيح منهج!

^{١٦} موائد العرس مشهورة بالمبالغة في السخاء.

^{١٧} إذا شغل الضياء النفس لفرط بهائه وشموله أفعمها بالحس؛ فلا تلتفت إلى ما يُسمع ويُلمَس.

الجسم الخجل

أرى في البحر أجسامًا تشعُّ عليها من حياء الحسن درعُ
إذا ما الماء جمشها تراءى لها خجل على الأعطاف بدعُ
وما خجل الخدود وذاك جسم سنى الخجل المورد فيه طبعُ؟

القمرء

كلما أشرق في الليل القمرُ
وسها الناس ولاذوا بالحجرُ
خِلْتُ أرواحًا تداعت للسمرُ
زمرًا تهمس من حول زمرُ
أن هذا الحسن لا يمضي هدرُ
حينما أسفر نور وانتشرُ
وحلا في خلوة الليل السهرُ
فهنا لا ريب حس وبصرُ
شيمة المسحور يقفو من سحرُ

غزل ومناجاة

مباراة في مزايا الشفاه

تبارت شفاه حباها الإله بشتى المزايا، وشتى النحلُ
لأَيِّ الشفاه تجيب السماء وأي الشفاه هناك الأولُ

* * *

فنادى جبابرة العالمين نداء المدل بأمر جلُّ
لنا وحدنا صولجان العلا ومنا الرجاء، ومنا الوجلُ
إذا ما نطقنا توالت خطوب وصالت شعوب، ودالت دُولُ
وفي همسة تنجلي فتنة وفي مثلها يتدانى أجَلُ
ونادى العباقرة الملهمون صحاح المعاني فصاح الجُمْلُ
لنا وحدنا جائزات الشفاه إذا اختلفت سبلها في الجدَلُ
فمنا الجمال، ومنا الهدى ومنا العزاء، ومنا الجذلُ
وبالنطق يكتمل الآدمي وفينا تكامل حتى اكتملُ

* * *

وأقبل سرب الأطباء الملاح رخيم البغام^١ مليح الكحلُ

^١ البغاء أرخم صوت الظبي.

وحي الأربعين

فقال وفي قوله لثغة	كأنك ترشف منها العسل
لنا القول فيكم رجالَ الكلام	لنا القول فيكم رجالَ العمل
لمسنا شفاهاً ففاضت سنّي	وجرنا على جائر فاعتدل
ومنا تذوقون طعم الحياة	وهل طعمها غير طعم القبل
تسمونها قبلة واسمها	رحيق الخلود، ورّياً الأمل

* * *

فأطرق ربهم لحظة	ونادى بأقربهم فامتثل
وقبل مبسمه قبلة	تضرم منها مكان الخجل
وقال: أجل! تلك أغلى الشفاه	فأصغوا، وقالوا جميعاً: أجل

* * *

بذا حكموا بعد طول المطا	ل، فليسمعوا رأيي المرتجل
إذا التمسوا مثلاً للشفا	ه، قلت لهم شفتاك المثل
لثمت الحياة بلثميها	وعاودت بعد السلو الغزل

المعاني الحية

أمواج حسن زاخره	تلك الوجوه الناضرة
فتن على فتن وغا	مرة تليها غامرة
طوفان نوح أنتم	ليت السفينة حاضرة

* * *

يا جيرة البحر اقنعوا	منا بعين ناظرة
ودعوا القلوب كليلة	ودعوا القرائح عائرة

* * *

من كل وهاب لكم	نعمى هبات وافرة
خلع الإله عليكم	خلل الجمال الفاخرة

غزل ومناجاة

والبحر نشوة خمرة	خمر البحار الكاسرة
والشمس ما تهدي الثما	ر الناضجات الباكرة
ورأيت رفرقة النسيب	م على الجسم الطائرة
فالآن ماذا تنظرو	ن من النفوس الشاعرة
لم يبق في كنز الخيا	ل بقية من نادرة
برزت معاني الشعر في	ثوب الحياة الظاهرة
أنتم معانيه فما	تغني النفوس الحائرة
أنتم عرائسه وها	تيك المسارح عامرة
هيهات، ما لممثل	أو شاعر من خاطرة
ما الترجمان وتلك أسد	رار التراجم سافرة
فإذا بخلنا بالقصيد	يد فعاذر أو عاذرة

غزل فلسفي: فيك من كل شيء

فيك من شمس الضحى العين التي	ترسل الملح مضيقاً في الظلام
فيك من بدر الدجى أحلامه	حين يسري نائماً بين نيام

فيك من كل ربيع طلعة	تنبت النضرة عاماً بعد عام
والشتاء الجهم لا يعدوك من	عهده العاصف برق وغمام

ما تغنى الطير إلا بعض ما	أنت راويه، ولا ناح الحمام
وإذا الجدول ناغى نفسه	فهي أصداءك من غير كلام!

وصنوف الوحش هل ناظرتها	من نفار بينكم أو من وثام؟
لا انفتال الحوت تنساه ولا	سطوة النسر ولا خوف النعام

وحي الأربعين

* * *

فيك من نار الحياتين الهوى هل حياة الحي إلا من ضرام؟
والذي أرهبه وأسفاً هجرك المدعو بالموت الزوام!

* * *

فيك من دنياك نقص رائق ومن الأخرى تباشير التمام
ومن الأملاك طيب ورؤا ومن الشيطان غي وأثام

* * *

ومن الخمرة سكرها إذا أسلست في النفس أو طاش الزمام
ومن القوت غذاء، ومن الـ ماء ري، ومن الجوع هيام

* * *

فيك من أرضك حظ وافر وحظوظ من سماء لا ترام
أجديد؟ إي نعم. قال الصبا أقديم؟ إي نعم. قال الوسام

* * *

هذه الروعة هل تجمعها في مدى يوم لحوم وعظام؟
لا وربّي! بل دهور غبرت قبلما تتقنها الأيدي الكرام

* * *

قبلما تتقنها الأيدي التي نسقت أنوالها، وهي حطام
من وراء اللب صفًا ينتهي بعد صف، بين سدي^٢ ولحام

* * *

^٢ السدي من الثوب: ما مُدَّ من خيوطه.

غزل ومناجاة

فيك من هندسة علوية ما استدار الخط فيه واستقام
ومن الفن مثال بانخ هو للمثال والشادي إمام

* * *

فيك مني ومن الناس ومن كل موجود وموعود تؤام
كيف بي أعذل إن أغنيتني أنت حتى عن شرابي والطعام
إن نفوني اليوم من دنياهم وأباحوا لي من الزاد المرام
ثم قالوا: ما تشأ منها فخذ! قلت هذا، وعلى الدنيا السلام

* * *

قلت هذا، وتقدمت إلى هوة الغيب، وفي الثغر ابتسام
كيف لا يبسم من قبلته تنظم الأوطار طراً في نظام؟!

* * *

وإذا قبلته مستضحجاً في تخوم الكون، والكون سدام^٣
فهو سخري بالذي ودعته واغتباطي بمقامي حيث قام

نضرة في الشتاء

يا نضرة في الشتاء أبصرها أبهج من كل منظر نضير
كأنها والعيون تنهبها والنفس تروى بحسنها العطر
ألف ربيع للعين مدخر بل ألف حب للقلب مختصر
يا طيب ذاك الإكسير مجتمعاً من حسن شتى الرياض والغرر
أضمه كله وأرشفه في قبلة كوثرية السكر

^٣ سدام: بمعنى ضباب.

الشادن المتحيل

لب في الغزال الأكحل	أشهدتني مكر الثعا
ك لقيء وأكسر مغزلي	وتركتني أرمي الشبا
أبدًا بفخ أعزل	لا ألقينك بعدها
ص الشادن المتحيل	فخّان أولى باقتنا

القبلة

لم يشبها المزج من ماء وطين	هي كأس من كؤوس الخالدين
مُلئت من كوثر الخلد المعين ^٤	كلما أفرغتها منتشياً
بدأ الشوق إليها والحنين	وإذا أمتعك الري بها
فروينا، وافترقنا ظامئين ^٥ !	قد شربناها معاً في ليلنا

حسرة متلفة

يا لها من شَفَه!	يا له من فم
كدت أن أرشَفَه	يا لشهد بها
كدت أن أقطَفَه	يا لزهر بها
غضة مرهَفَه	حلوة ويحها!
حسرة متلفَه	حسرتي بعدها

^٤ اللقي: الشيء الملقى والمطروح.

^٥ الماء الجاري في سهولة.

الجملة والتفصيل

جُمِعَتْ محاسن في صباك تفرقت
في صنعة الخلاق أي تفرق
في الشمس، أو في الروض، أو في الطير أو
في الجدول المترقرق
فإذا نعمت بها لديك فحبذا
نعماي في ظل الجمال الرقيق
وإذا ضننت بها رجعت أرودها
في حينما افترقت، ولما نلتق

راووق النور

لا أرى الدنيا على نور الضحى
هي كالراووق للنور فلا
حبذا الدنيا على نور العيون
صفو إلا صفوها العذب المصون

النظرات تلتقي

نظرات العين في العين
تلك أحلى ما حلمت به
جمعت أشواق نفسي
من نعيم في الحياتين

الجسم الضاحك

ثغرك الضاحك، لا بل
لا بل الدنيا التي تو
هكذا فليبسم البا
أو فينسى البشر حتى
لا يُلام العابس اليا
وجهك الضاحك، لا بل كل جسمك
مض نوراً حول نجمك
سم إن شاء كبسمك
ينقل البشر، بلثمك
ئس إلا بعد لومك

إلى الغرق

دعتك العرائس في بحرها
إلى الماء! لا بل إلى السابح
فليس على البحر إلا غريق
سواحه احتشدت كلها
ففيم الوقوف على الساحل؟
ن، لا بل إلى الغرق العاجل
وإن لم يكن فيه بالنازل!
علينا. فيا ويح للغافل

لست بلحم ودم

رائعٌ يخطر في مشيته
لم يرُعني حينما أبصرته
ما قضيت العمر إلا حالماً
أنت وهمٌ لم تزل في خاطري
خطرة الطَّيف لمن لم ينم
حلمًا تم تمام الحلم
كيف بالروعة من ذي قدم
لست يا صاح بلحم ودم

مائدة

مائدة أسرف في طهيها
أكرمنا الطاهي بها ساعة
حسن وأنس وحياء معاً
مدت لنا طوعاً فما عذرنا
عشرين عاماً عبقرى الزمان
فكيف بالمكرم يلقي الهوان
وطلعة البدر ونفح الجنان
إذا تركنا لقمة في الخوان^٦

^٦ الخوان: ما يُوضَع عليه الطعام.

يوم مزيف

لك وجه كأنه طابع الصدِّ قِ على صفحة الزمان المأوفِ^٧
إن يوماً يمر بي لا أراه هو يوم أعده في الزيوفِ

سعادة في قمقم

هنا قمقم سابح في الدمِ أسائل عنه، ولم أعلم
جهلت خباياه حتى أتى عريف الطلاسم بالمعجمِ^٨
ففيه كما قيل مسجونة سعادة بعض بني آدم
تجن جنوناً بنور الضحى وتذبل في حبسها المظلم
وقد زعموا أن إطلاقها رهين بهمسة ذاك الفم
بسر على شففتي فاتن يُباح إلى شففتي مغرم
فهل أنت مطلقها منعماً فديتك، أم لست بالمنعم
وما أنا بالمشتهي قبلة ولا بالحريص على مغنم
ولكنما أنا أبكي أسى لتلك الشهيدة في القمقم

خير ما فيهن

غفر الذنب من بكائي عليكِ أنني لا أعود ما عشت أبكي
لا يساوي — وقد تعلمت منك — نسل حوائكن دمعة شكِّ
خير ما في النساء ساعة ضحكِ

^٧ المأوف: المصاب بآفة.

^٨ المعجم الكتاب الذي يفسر الغريب والمشكل.

زهرة لا تذبل

في الصيف يزكو عند مس السموم أجل، ويزكو عند مس الشتاء
خدك هذا أي نبت يدوم ريان في كل أوان سواء؟
يا ويلتا من نبت هذي الكروم فالجوع موصول بذاك النماء
وهل ترانا كل يوم نصوم؟

ليلة البدر

هات لي الذكرى وجدد ما مضى، عندك الذكرى ورُجعاها معا
هات ما كان كما كان انقضى، أو فجدد غيره مبتدعا
ليلة البدر، وقد كان الرضى موعد الأهرام نبغي مطلعا
فقضى الله سواه غرضا

* * *

قد نوينا ونوى الغيب لنا نية أمتع للمستمع
خسف البدر وأمسيت أنا أدعي من نشوة ما أدعي
كلما ناديتني هيا بنا! قلت: هيا! وأنا في موضعي
السنا عندي فما لي والسنا؟!

* * *

خُسِفَ البدر وما كان الخسوفُ شيمة البدر الذي بين يدي
نُشِرَ الناس وطافوا بالدُفوفُ وأنا والبدر في نشر وطوي
خلّ من شاء كما شاء يطوفُ إن بدري طالع منه إلّي
لا أحب البدر ترعاه الألفُ

* * *

يا سمير الليل يا نَعَمَ السميزُ ما لنا والصبح ما دمت أراك
أنا في نور وروض وعبيزُ حينما ألقاك لا ألقى سواك

غزل ومناجاة

رشفة من ثغرك العذب النضيرُ أو من الكأس احتوتها شفتاكُ
وسلام أيها الكون المنيرُ!

* * *

هاتِ لي من فيك أنفاس الغرامِ أو فقل إن شئت أنفاس الحياةِ
واسقني الخمرة من أعذب جامٍ لا من البلور في أيدي السقاةِ
ثغرك الضاحك كأس ومدامٍ ونديم لي، وراوٍ في الرواةِ
ينشد الشعر فيشجيني الكلامُ

* * *

ينشد الشعر جديداً كالصبا وأنا ناظمه منذ سنينُ
بث فيه من صباه عجباً فإذا قلت ارتجال لا تمينُ
هاتِ لي الحسن وهاتِ الأدبا واسقني الخمر من الثغر المبينُ
ذاك حسبي في زمانٍ مطلباً!

أشعب الأهواء

كلما أمسيتُ في وكري قلت: يأتي! كيف؟ لا أدري
أمل غطى على فكري فهو ذنبي فيك أو عذري

* * *

لم تزرني غير مصطحبٍ كيف أرجو قرية القربِ؟
أشعب الأهواء غرر بي فرجوت الصدق في الكذبِ

حجاج وروما

آل روما لكم منّا الولاء
وسلام كلما ضاء لنا
في حماكم كعبة ترمقها
كعبة لا كالتّي يعمرها
من حياة هي لا من بنية
كرمت روما وذكرها بها
نزلت ثمّ حجيجاً داعياً
وثناء عاطر بعد ثناء
شارق الصبح، أو اظلمّ المساء
مهج منا وأماق ظماء
بينكم رهط القسوس الحنفاء^٩
شادها صخر ووشاها طلاء
وبنو روما، وما تحت السماء
وهي أولى بحجيج ودعاء

* * *

قبلتي يا «حُسن» من ذاك الحمى
ورجائي اليوم في مغربها
سلمت روما التي أنت بها
وكساها لك نسّاج الربى
وجلاها لك من يجلو لنا
والذي أولاك من أنعمه
ليت شعري كيف ألفيت بها
أترين اليوم فيها عجباً
وبنو الرومان هل هم بدعة
أحسب الأيام بحرّاً واحداً،
من يرّ النفس من الباطن لا
من يرّ الفن خيالاً فله
أنت لا القبلة من ذاك البناء
وجهك الباسم لا وجه دُكاء^{١٠}
وسرى يُمناً بها ساري القضاء
كل يوم زينة شتى النماء
بشعاع منك آفاق الرجاء
بهجة النورين: حسن وذكاء
سيرة العصر وذكرى القدماء
أم قديماً كل يوم في رداء؟
أو هم الناس رياءً في رياء؟
ما اختلاف الموج فيه والهواء؟
يحفل الظاهر في الدور القواء^{١١}
بالرؤى^{١٢} عن نظرة العين غناء

^٩ الحنيف: المتمسك بالدين.

^{١٠} اسم من أسماء الشمس.

^{١١} الخراب والفقر.

^{١٢} جمع رؤيا وهي الحلم، والمعنى أن الذي يدرك جمال الفن بخياله لخليق أن يشعر بمتعة الفن دون حاجة إلى الصور التي تمثله للعين.

بيد أن النفس من عاداتها تخلق الأشباح في كل فضاء
وتحب الظل حيناً والصدى، وأصول الظل فيها والغناء^{١٣}

* * *

أنت في روما وفي مصر أنا بعدت شقتنا لولا النجاء^{١٤}
بيننا جيرة نور ساطع فوق رأسينا، ونور في الخفاء
أرقب البدر إذا الليل سجا فلنا فيه على البعد لقاء
وأورد الشعر في مثل الكرى فإذا فيه من الطيف عزاء^{١٥}
حلم الصادي^{١٦}! فمن يوقظه وعلى فيه من الماء شفاء
أنت يا «حُسْنُ». وهل أنت سوى حلم في يقظة القلب أضاء؟!^{١٧}

الأزاهير الآدمية

الأزاهير في الشجر لا اختلاف ولا صُور
والأزاهير في الغرر^{١٧} حيرة القلب والبصر
بينها الزهر والثمر بينها الشمس والقمر
بينها التبر والدرر والمصابيح والشرر
عين يا عين لا نظراً! ها هنا! ها هنا الخطر

^{١٣} المعنى هنا استدراك على البيت السابق، وفحواه أن النفس تعودت إذا هي شعرت بالعاطفة أن ترى لها ظلاً مصوراً وتسمع لها صدًى متردداً، ولا يغنيها عن الظل والصدى أنها هي تشتمل على أصول هذه الظلال والأصداء، وهي العواطف.

^{١٤} النجاء: هو المناجاة أو المسارة.

^{١٥} الشعر يستحضر الأطياف كما تستحضرها الأحلام، فالشعر من هنا شبيه بالكرى.

^{١٦} الظمان.

^{١٧} جمع غرة، وهي الطلعة والوجه.

عيد ميلاد

كان الأقدمون يحتفلون بانتقال الشمس في الموعد الذي اختاره المسيحيون لإحياء مولد السيد المسيح بعد ذلك، وكلا هذين الموعدين يوافقان يوم الميلاد المعني في القصيدة التالية:

أقبلت والشمس والمسيحُ في مولد واحد، سواء
في وجهك المشرق الصبحُ هداية الحق والضياء

* * *

تهياً الكون من قديم ليوم ميلادك السعيد
فعابد الكوكب العظيم أحيا ببشراك يوم عيد
ومولد «السيد» الرحيم وافقه المولد الجديد
يوم تهدي على المديح وزفه الخلد بالثناء
فالدهر في عمره الفسيح عوده البشر والدعاء

* * *

النور والحسن واليقين تحتفل اليوم في مكان
إحدى وعشرين من سنين قد تم في أوجها القرآن
ثالوثكم تم بعد حين فليمض ما شاء في أمان
وليتهف المنشد الفصيح بالحمد في العيد والغناء
كلاهما مغنم ربيح لعاشق الأرض والسماء

لو كان إلهاً

قال الشاعر الفرنسي «دوجيرل» لحبيته:

لو كنت إلهاً لأعطيتك الأرض والهواء وما على الأرض من بحر، ولأعطيتك
الملائك والشياطين الحانية بين يدي قدرتي وقضائي، ولأعطيتك الهيولى وما في

أحشائها من رحم خصيب، بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين؛
ابتغاء قبلة واحدة.

وسئِلَ صاحب هذا الديوان: «وماذا تعطيني أنت لو كنت إلها؟»
فقال:

تبدي القلوب من الغرام الصادق؟! ربِّاً، أخذتكِ أنتِ أخذِ الوثاقِ أحلى وأكمل من جميع خلأئقي نبضات قلبي المستهام الوامقِ أهُونُ لديكِ بأنجم وصواعقِ وبكل بحر في البسيطة دافق!	أعطيكِ؟! كيف وما العطاء بخير ما بل لو غدوتُ كما اشتهيتِ وأشتهي فترين أنك حين فزتِ بخطوتي وتسيطرين على الصروف، وفوقها إن كان رب الكون عندك قلبُهُ وبكل شمس في السماء وضيئة
---	--

حرمان أو عطاء؟

ألقيت في صفحتها بالذبابِ فليس فيها مورد مستطابِ بالضن، أو أسعدني بالعذابِ ما أجدر اللوم بذاك المصابِ!	مائدة كم بت أشتاقها أرحتني منها، فقد عفّتها فيا زماناً جاد لي منعماً إن تطلب الشكر على راحتي
--	---

أيعشقون؟

هيهات! بل تكذب العيونُ واعجباً! كيف يعشقونُ رجم الأساطير والظنونُ إن ذكروا الحب يقتدونُ	أيعشق الناس يا حبيبي؟ إن لم يحبوك يا حبيبي ما الحب لولا هواك إلا أحببتُ حتى حسبت غيري
--	--

معرفة متأخرة

عرف الناس فضل ذا الميلادِ	بعد سبع من السنين وعشر
ضَّ بأضعاف حسنِها المرتادِ	عرفوا أيَّ نعمة زارت الأَرَّ
سَّاء مع الشمس أشرقَتْ في البلادِ	عرفوه لما رأوا بينهم شَم
فرعَوْا عهده بذكر معادِ	عجبوا كيف فاتهم يوم وافى
للذي فاز فيه بالإسعادِ	ذاك ميلادك السعيد هنيئًا

ماذا عليه؟

وإذا التوى ماذا عليه	ماذا عليه إذا استوى
مهما تعسف، في يديه!	هذا القوام جماله
مالت جوانحنا إليه	أنى تمايل عطفه
شغفًا برؤية صفحته	أشتاق بعض نفاره

ملتقى الربيع

في روضة، بل طلعة، بل شَفَه	هاتِ الربيع الغض لي كله
في قطفة، فالرأي أن أرشفَه	إن فاتني جمع أزهيره

نبضات جديدة

أيها القلب! فأسمعني صدك	خفقات تلك من وزن جديد
أنت تهواه فلا تنكر هواك	ذلك الوجه، وما العهد بعيد!

* * *

كل يوم بعد يوم كي تراه	أنت تهواه وتسعى بي هنا
في صريح القول، نستجلي سناه	لا تراوغني وقل هيا بنا

* * *

تحسب الرقة فيه ألمًا فإذا أنت من الوجد تذوبُ
لا يكون الحب إلا هكذا أنا لا أجهل أسرار القلوبُ

* * *

كاصفرار الشمس في ثوب الغروب واصفرار العاج في ثوب القدم
ذلك اللون نسميه الشحوب وهو في الحسن شفيح للسقم

* * *

رحمة للقلب من ذاك الوجيهِ صيغ من ذؤبَي حنان وحنين
كلما رفرفت بالعين عليهِ شبه الفرحان عندي بالحزين
إن أشأ قلت خيال في الكرى أو أشأ قلت عيان لا خيال
جمع الأمران لي فيما أرى حين صح الحلم في خير مثال

سنة جديدة

أدركنا موكب السنين في موكب الحب سائرين
والحب من يغش ركبهُ يساير النجم كل حين
راجع حساب السنين يا نجم، فما نحن حاسبين
أبالألوف احتسبتّها؟ أم لم تزل تجمع المئين؟!

* * *

يا سنة أقبلت لنا، أقبلت ميمونة الجبين
وداعنا فليكن غدًا كما التقينا ... أتسمعين؟
في موكب الحب نلتقي وفيه نمضي مودعين

قوميات واجتماعيات

إلى المحسنين

ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال السنوي الذي أقامته جماعة الإحسان بطنطا في سنة ١٩٣٠:

يا جيرة الإحسان والمحسنين	لبيكم! لبيكم! أجمعين
من يسمع الملهوف حق له	— لا ريب — أن يسمعه السامعون
من عين شمس جئتكم ناهلاً	من عين شمس لا تراها العيون
لا بل يراها كل قلب رأى	ظلم الرزايا، وظلام الشجون
يا حسنهما من نير مرشد	في حيرة اليأس بنور اليقين

* * *

حييت في محفلكم إخوة	بناتها في الخير صنو البنين
مريمكم أخت لعيساكم	وكلكم آمنة أو أمين
تعددت أديان قصادكم	وما لكم في برهم غير دين
كونوا لمن ليس له شافع	في هذه الدنيا ولا من معين
للطفل، من للطفل في ضعفه؟	للشيخ، من للشيخ حاني الجبين؟
هما رضيعا رحمة ثديها	لا يفطم الأبناء فطم السنين
لا خير في الدنيا ولا أمنها	إن لم يكن هذان في الآمنين
كلاهما عنوان ما عندنا	من نصرة للعيش أو للمنون

* * *

أقوى بني الإنسان في بأسه	من يرحم الضعف ويأسو الحزين
من يصرع الجبار دون الذي	يصرع جبار الشقاء المكين
ذاك العدو المستطير الأذى	في حاضر العهد وماضي القرون
هيا اصرعوه صرعة من يد	رقيقة المس وصدور حنون
فالمجد في تجفيف دمع جرى	لا في دم تجريه حرب زبون ^١

* * *

يا غارسي الإحسان في «طننتا»	ما خصبكم فيها بماء وطين
دوحتكم في أرضها أثمرت	ما تثمر الجنة للمتقين
ظل ظليل، وجني رحمة	ريان يؤتي أكله كل حين
أحسنتم بدءاً وأحسنتم	عوداً، وعقبى الصبر للمحسنين
وكان منكم كل خير لها	وحبذا من بعده ما يكون

إلى غاندي يوم إفطاره

غاندي لك النصر المبين على المدى	ولشانئك الخسر والخذلان
لم ألقَ قبلك من يحرر قومه	وهو السجين الجائع العريان
بالجوع والحرمان تصلح أمة	أخنى عليها الجوع والحرمان
خذ من قرارة دائهم لدوائهم	بعض السقام من السقام ضام
ومن العجائب أن يُقدَّس بينهم	بقر السوام ويُلعن الإنسان
عكسوا الأمور فكان عكس أمورهم	بعض الجزاء، ومن أهان يُهان

^١ الحرب الزبون: الشديدة التي يدفع بعضها بعضاً من الكثرة.

فاشفع لنقص القوم عند كمالهم فكذاك تغفر ذنبها الأوطان^٢

عيد الاستقلال السوري

ألقيت هذه القصيدة في احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال في سنة ١٩٣٠:

اليوم عيدك عيد الاستقلال	ربع الشّام أعامر أم خال
لو يملك الشهداء رجع سؤالي	إنني لأرجع بالسؤال أطيله
إلا منازل من صوّى ^٢ ورمال	سكتوا وأقفرت المنازل منهم
في حيثما ألقى عصا الترحال	بُوركت من وطن يجل شهيده
وإليه موئلهم مع الآمال	وطن تضيق الأرض عن أبنائه
منه، وما قنعوا بالاستبدال	يستبدلون الخافقين ببضعة
شيّعاً، وما فيهم فؤاد سال	ذهبوا بأفئدة تفرق شملها

* * *

حلم يبببت به مع الحلال	يرتاد راحلهم وخلف ركابه
وينام من «بردى» على السلسال	يصحو على «الشاغور» من لبنانه
تلتف بين جداول ودوال	وتهزه من «عشثروت» ^٣ خميلة
سكرى الضحى رفاة الأصال	وتليه من وادي العرانش نسمة
همس من الجيل الأشم العالي	أنى استقر وحيث سار هفا به
فيه، فكيف بمولد وفصال	أين السلو؟ ولا سلو لعابر

^٢ الأوطان تكفر بحسناتها عن سيئاتها، وما دام للوطن حسنة فله أن يطمع في غفران سيئة. أما الوطن

الذي لا غفران له فهو الوطن الذي لا تقرن فيه السيئات بحسنات تعدلها أو تربو عليها.

^٣ الصوى: القبور والحجارة التي تُتخذ دليلاً على الطريق.

^٤ هي قرية شتورة الحديثة فيما يقال.

* * *

هذي مواطنكم وتلك قلوبكم	وُشِجَتْ ° على الأهواء والأهوال
ما في المدامع من شعار كنيسة	يوم الحنين، ولا شعار هلال
فيمَ اختلاف مصفدين تضمهم	— قبل الوفاء — سلاسل الأغلال؟!
أمنازعون على السماء وأرضكم	نهب لكل منازع وموال؟!
كونوا — ولا نصح لجيل نبوة —	في العالمين هداية الأجيال
من بعلبك خذوا المثل لرأيكم	يوم الخلاف، وتلك خير مثال
فيها لموسى والمسيح وأحمد	أثر، وللوثن القديم البالي

* * *

أنتم بنو ماضٍ على أحزانه	نعم البشير لكم بالاستقبال
ماضٍ بأمثال التجارب حافل	ومن التجارب حكمة الأمثال
لا تلهينكم الهموم بحاضر	مر الحوادث فيه مر خيال
إن الحقائق في الحياة تجمعت	ما بين سابق سيرة أو تال
بيتوا على أمل وطيب تذكر	تجدوا الحوادث منكم بمنال ^٦
لا يستقل القوم في آمالهم	إلا استقلوا بعد في الأفعال

* * *

يا جيرة الوادي تحية أمة	وقفت تحيتها على الأبطال
لو بيّن الوادي القديم لقالها	كلمات صدق من لسان الحال
إننا بنو وطن تقرب بينه	سيناء في قدسية وجلال
الشمس تجمع في المطالع بيننا	والأرض في حرم الجوار الغالي
ومعالم التاريخ في كتب وفي	عقب، وفي نصب، وفي أطلال

^٥ اشتبكت.

^٦ الحاضر ملك لمن كان له أمل قوي في المستقبل وذكرى وثيقة للماضي.

ولسان صدق في اللغات تألفت	فيه القلوب تألف الأقوال
شكواكم شكواي، أو سلواكم	سلواي، أو أشغالكم أشغالي
ومطالب الغازين في بيدائكم	كمطالبني، ومآلكم كمآلي
فخذوا التآسي من مؤسي نفسه	فيما يطيف بكم من الأوجال
وخذوا التهاني من مهنئي نفسه	بغد يطالعكم بالاستقلال

على قبر سعد

خلا قبر سعد مثلما كان بيته	خلا منه حيناً ثم آواه رحبُهُ
أمرُّ به في كل يوم وربما	مررت به يوماً وفي القبر ربُّهُ

اكتفينا بما تقدم في هذا الباب، ولم ننشر فيه القصائد التي نُظمت في المناسبات المصرية رعاية لعهد الائتلاف.

فكاهة

كفاية!

إن تغض عيناك من تيه فلا عجب
أنت الذي تطلب العينان رؤيته
إنا هنا اثنان أمسينا، وفي نظري
عيناى ضاعفتا في حسنك النظرا
فأغض تيهًا كما أحببت أو خفرا
بلاغ إلفين! فاترك لي أنا السهرا

مفاخرة

أمسيت تفخر بالشباب وتزدهي!
فالآن أجزيك الفخار بمثله
عشرون عامك هذه ألقى بها
فافخر، وألقِ بها كما ألقيتها
وطفقت تنشر ريشه وتخايلُ
وأقول، والإتصاف ما أنا قائلُ
طوعًا، وعندي بعدُ عمر كاملُ
ماذا تكون؟ وأنت منها عاطلُ!

ناسخ النور

قد نقص النور ولم ينطفئ
فعوضوا الدار وزيدوا بها
وراقبوا «العداد» تحصوا به
لكن وجه الشؤم قد لاحا!
على ثريا النور مصباحا!
كم فاض من شؤم وكم ساحا

حديقة حيوان آدمية

هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون، سُمِّي كل زميل من زملائها باسم حيوان يُلاحظ في اختياره اتفاق الشبه في الملامح والعادات. وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف في أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغني ويعزف فتقبل عليه من كل فصيلة، وهي لا تشعر بخوف أو تهم بعدوان:

أورفيوس الفن سوَّى بينها	فتلاقى الدب فيها والقروُد
وتغنى فرس البحر بها	يا له من فرس طلق النشيد!
ومشى الأرنب والحوث لها	صاحباً القاعين من لج وبِيد
وتآخى الجدي والضبع وما	بين هذين سوى الثَّار اللدود
وجرى «السيسي» فيها شوطه	وهو ناهيك بيسيبي عنيذ
ولغا «البطريق» ^١ فيها لغوه	وهو من قطب جنوبي بعيد
وكأنني بالزرافى ^٢ اجتمعت	وحمير الوحش منها في صعيد
وأوى السنور والجرو إلى	نمر فيها، على غير الوصيد ^٣
والسلحفاة تجاري عندها	أرنب البيداء والكلب الصيود
فتحت أقفاصها واختلطت	لا سدود، لا قيود، ولا حدود
حيوانات نماها آدم	وهي من أبناؤه نسل فريد
حيوانات ولكن بينها	كل ذي لب سماوي رشيد
أورفيوس الفن سوى بينها	فاستوى المنشد فيها والمعيد

^١ هو الطير المعروف في اللغات الإفرنجية بالبنجوين.

^٢ جمع زرافة.

^٣ الوصيد: العتبة، وفي البيت إشارة إلى الآية: ﴿وَكَلْبُهُمْ بِأَسْطُرْ زِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾.

معنى طازج!

تنشقت من فيك عطر الثما
فلو قلت «أطعمتني» قبله
ر، أو نكهة العنب الناضج
لأنبأت عن صدقي «الطازج»!

الحب السريع

سألت: ما بالهم قد تركوا
قلت: هل دام غرام بينهم
غزل العشاق في الشعر الجديد؟
ريثما يُفرغ من نظم القصيد؟
سنرى العهد الذي يروي لنا
كل عشرين غراماً في نشيد!

زهرة القبح

من رأى زهرة الجمال فهذي
طلعة الشؤم من رآها يخلها
زهرة القبح أسفرت تتحدى!
خُلقت من وجوه سبعين قدرا

رثاء كلب

حزناً على كلبٍ طاهرٍ؛
تشابها في خليقة
وربما عيَّ طاهر
فليس يوفيه حقه
إلا إذا بات نابحاً
عوعو، عوووو. بلا ونى
فإنه طاهر الكلاب!
واتفقا — شيمة الصحاب
وكلبه حاضر الجواب
من اكتئاب أو انتحاب
نبج المساعير في الخراب
ولا انقطاع ولا اقتضاب

٤ هو الأديب محمد طاهر الجبلأوي.

* * *

لا تسألوا رحمة له	قد رحم الله واستجاب
لعله مات قانطاً	من «أزمة» الأكل والشراب
منتحراً في شبابه	وهكذا يفعل الشباب
أراحه الله من ضنّى	أنقذه القبر من عذاب
فليحمد الله ربه!	من جاع فليرضّ بالتراب

كلب ضائع أو ديوجين الكلبى

أمست كلابك شتى	وأنت يا صاح أنتا
كلب نجا وهو حي	وأخر فر ميتا
ما بين تارك دنيا	وتارك لك بيتا
قل لي بربك ماذا	على الكلاب جنيتا
حتى «ديوجين» ^٥ قل لي	يا شيخ ماذا صنعتا
والله ما كان يأبى	لو صادف الخبز بحتا
أو جدت يوماً عليه	فصادف الأدم زيتا
زعمته راح يهوى	من قومه الغر بنتا
لا تلزم الحب ذنباً	من الصيام تأتى
فاحمل رغيماً تجده	في أي صوب نظرتا
مصباحه ^٦ ليس يجدي	فلا تضع فيه وقتا
أنعم به من حكيم	إلى ديوجين متا
رأى السلامة حقاً	ومن رأى الحق أفتى

^٥ ديوجين الكلبى: فيلسوف يوناني. وقد سُمّي الكلب باسمه لأنه كان كبير الرأس، ولأنه يمت إلى الفيلسوف بصلة الكلبية.

^٦ كان ديوجين الفيلسوف يحمل مصباحاً في النهار يفتش به عن رجل فلا يجده.

حظ بصير

إذا كان حظ الناس أعمى فإن لي على الغيب حظاً لا يزال بصيرا
يظل يحاشي كل خير كأنه يحاذر فحاً، أو يرد مغيرا

متفرقات

إهداء الكتاب

نظمت هذه الأبيات في إهداء كتابي عن علي بن العباس المشهور بابن الرومي إلى جراح مصر الكبير علي إبراهيم باشا:

يا جاعل الطب فنًّا	من الفنون جميلا
ويا أمينًا حفيظًا	على الحياة وكيلا
هذي حياة أديب	للفن كان رسولا
يا رب معنى نبيل	كساه لفظًا نبيلًا
كالروح تكسوه جسمًا	غض الإهاب صقيلا
علي هذا علي	يرجو لديك قبولا

المثاني في مشروع القرش

كن قطرة من سحب مثمر غدق	ولا تكن ذرة من رمل صحراءٍ
ولا تقل هان «قرش» أنت باذله	ما مصر؟ ما النيل؟ لولا قطرة الماءِ

* * *

وحي الأربعين

أيصول بالسيف الكمي^١ ونحن لا ندري الصيال بمغزل وبمنسج
بالأمس كان عقيمهم من لم يلد وأرى العقيم اليوم من لم «ينتج»

* * *

الشباب اليوم يستأدبكم درهماً فرداً فأدوه الحساب
إن مصرًا كلها في غدها هي ميراث مصون للشباب

* * *

كن صانعاً أو لا فلسست بصانع شيئاً ولست بدافع من يعتدي
وابذل زهيدك للصناعة تجتمع لبنني بلادك ثروة لم تزهد

* * *

أوجه ذي الوجهين في الوجود قرش عديد من أب وحيد
قوته للوطن المعمود أقوى من العدة والعديد

* * *

أرى القرش أصبح ذا قيمة وإن صغروه وإن حقرؤه
يتيه بوجهين من حسنه وتأتي منافعه من وجوه

الشهرة العوراء

دع الشهرة العوراء تقتاد غافلاً على حكمها يجري، وإن طاش أو ظلم
إذا الدهر لم يعرف لذي الحق حقه فللدهر مني موطئ النعل والقدم
إذا جاز بيع الذكر في شرع أمة فلا كان من ذكر ولا كانت الأمم

^١ الكمي: لابس السلاح أو الشجاع.

عتاب وطن

جوزيت من وطن يبكي الوفي به وما بكى خائن فيه وإن جارا
لقد شقيت على كره وموجدة^٢ وهان ذلك لو لم تشق مختارا

نعي كاذب

لقد كذب الناعي وأنعم بكذبه فلا صدق الناعون يومًا، ولا همًّا
فزعت الخطب الموت، والموت واحد فكيف احتمالي فيك موتين يا أمُّ

إلى الصديق الراحل

نظمت في رثاء الكاتب الكبير «محمد السباعي» يوم وفاته:

غاية الحي ساعة من زمانه ينتهي عندها مدى جثمانه
طُويت صفحة السباعي فينا وهو طاوي الطروس في تبيان
مسمح النفس في الحياة تولى مسمح النفس في الردى قبل أنه
لم يطامن لصرعة الموت رأسًا من صراع الحياة لهو رهانه^٢
ذاقها صابرًا وساغ مريّرًا من جني دهره ومن إنسانه
وتأسى، ومثله من تأسى، ضاحكًا من كرامه وهجانه
فتنته غواية الأدب الحر رِ فأودى بقلبه في افتنانه

^٢ الموجدة: الغيظ والألم. والمعنى: إن الشقاء الذي يصيب الوطن كرهًا وقسرًا قد يهون في جانب الشقاء الذي يجنيه الوطن على نفسه.

^٣ كان الفقيدهو بالريضة البدنية كثيرًا، وكانت سيرته حافلة باحتمال الشدائد في سبيل حرية نفسه ومطالب عيشه.

وثنى راحتيه عن خفض عيش
ما أراه على الحياة حزيناً
يا سليم الفؤاد في باطن الرأ
مرض الدهر فامض عنه معافى
أنت خدن الكتاب، والموت سفر
كان حيناً أقصى منى أقرانه^٤
بعض حزن الصحاب يوم احتجانه^٥
ي سليم الفؤاد في إعلانه
من أكاذيبه ومن أدراجه
صدقه ظاهر على عنوانه

على قبر حافظ يوم وفاته

أبكاء وحافظ في مكان؟
كنت أنساً، فكيف أمسيت يا حا
كنت تتلو الرثاء معنى فمعنى،
كنت أعلى الجموع صوتاً فهلا
وعزيز على بلادك أن تذ
يوم أطلقت من إسارك حرّاً
يوم أرسلتها على ظالمي الأو
ألهم الله مصر فيك عزاءً
كلنا صائر كما صرت يوماً
تلك إحدى طوارق الحدثان
فظ تدمى لذكرك العينان
كيف أمسيت بعض تلك المعاني!
نطق الآن صوت ذاك البيان
هب يوم انبريت للميدان
وأبيت الإसार للأوطان
طان طعانة كحد السنان
لا بل العرب في شفيح «اللسان»
والذي قد صنعت ليس بفان

على ضريح سعد يوم الخروج من السجن

إلى الذاهب الباقي زهاب مجدّد
إلى مرجع الأحرار في الشرق كله
وعند ثرى سعد مثاب ومسجد
إلى قبلة فيها الإمام موسد

^٤ كانت وظيفة الحكومة أقصى ما يطمح إليه الشبان ولا سيما في الجيل الماضي. ولكن السباعي رحمه الله كان من أوائل الشبان الذين اجتروا على ترك الوظيفة لخدمة الأدب.
^٥ احتجن الشيء: جذبه بالمجن، أو ضمّه واحتواه.

نحيي من الدنيا التي نستعيدها مكاناً من الدنيا يخلو قفرها
 مكاناً من الدنيا يخلو قفرها خرجت له أسعى وفي كل خطوة
 خرجت له أسعى وفي كل خطوة لأول من فك الخطى من قيودها
 لأول من فك الخطى من قيودها بواكير من حرية أستزيدها
 بواكير من حرية أستزيدها وأعظم بها حرية زيدَ قَدْرُها
 وأعظم بها حرية زيدَ قَدْرُها عرفت لها الحبين في النفس والحمى
 عرفت لها الحبين في النفس والحمى وكنت جنين السجن تسعة أشهر
 وكنت جنين السجن تسعة أشهر ففي كل يوم يُولد المرء ذو الحجى
 ففي كل يوم يُولد المرء ذو الحجى وما أقعدت لي ظلمة السجن عزمة
 وما أقعدت لي ظلمة السجن عزمة وما غيبتني ظلمة السجن عن سني
 وما غيبتني ظلمة السجن عن سني عداتي وصحبي لا اختلاف عليهما
 عداتي وصحبي لا اختلاف عليهما

وحي الأربعين

سميت هذا الجزء «بوحى الأربعين»؛ لأن أكثره نُظِمَ حوالي سن الأربعين، وقد كنت جمعت الأجزاء الأربعة الأولى من الديوان، ولاحظت في تسميتها أن يقابل كل جزء منها السن التي نُظِمَ فيها، فبدأت فيها بيقظة الصباح وانتهيت بأشجان الليل، وفي تسمية هذا الجزء «بوحى الأربعين» متابعة للسنة التي جريت عليها حين جمعت تلك الأجزاء.

^٦ إشارة إلى عادة الأقدمين حين كانوا يضعون بواكير الثمار والحبوب في المعابد؛ تيمناً واستزادة من الخير والنماء.

^٧ نجم قريب من القطب يُهْتَدَى به.

